مناظرة عالمين (1)

في مجلس المأمون

أيها السادة !

أحببت أن أقدم بين يدي محاضرتي هذه الكلمة توطئةً لموضوع المحاضرة فأرجو أن تحسن في سمعكم ، وتخفَّ على طبعكم :

* * *

قامت في هذه الآونة بدمشق مناظرة بين بعض الأساتذة في موضوع أدبي تاريخي ، فكان لأحد الأستاذين رأي خالفه فيه زميله ، وكان إخوان المتناظرَين وأصدقاؤهم يتنازعون بينهم ، ويرفعون أصواتهم بالتحزّب لهذا أو لذاك . أما هما فكانا آخذين في شأنهما ، عاكفين على بحثهما ، محافظين على هدوئهما وأناتهما ، وصلة الزمالة بينهما . وقد ضرب بعض الفضلاء لهذين الاستاذين مثلاً : مطران لندرة والفيلسوف (راسل) ذلك أن المطران والفيلسوف اختلفا في أيّ الأمرين أفضل في إصلاح البشر ؟ (التديُّن) أو (الإلحاد) . فكان المطران يقول : إن التدين أضمن لسلامة المجتمع البشري وصلاحه . والفيلسوف راسل يقول بالعكس . وفي آخر الأمر عُقد لهما في لندرة مجلس مناظرة ، شهده طائفة من أشياعهما : فكان الأشياع والأنصار في ضجيج وصخب . بل في أوار لهب ، ونار غضب ، من أجل العصبية للمتناظرَين ، والمتناظران في جنّة من أناتهما

---

(1) محاضرة للشيخ عبد القادر المغربي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي في ٢٨ آذار سنة ١٩٢٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورزانتها وحسن تناصفهما وطيب نفسيهما ، غير عابئين بما كان يقوم ويقعد ، ويبرق ويرعد ، وراء جدار غرفتهما .

* * *

حديث المناظرة هذا ، أوحى إليّ موضوع محاضرتي هذه ، وأوقع في نفسي ذكرى المناظرات الممتعة التي كانت تقع في تاريخ العرب ، وفي مجالس خلفاء العرب ، والتي تدل على فضل علمائنا ، وسعة صدر خلفائنا ، والاستفادة من الحريتين العلمية والفكرية ، إذا أطلقتا في ما بيننا . هكذا كان شأن السلف حتى كانت أرباب المقالات المذهبية ، وزعماء الفرق والنحل في الاسلام يجلسون في جامع الكوفة ، كل منهم في جانب منه ، وكانت تبلغ حلقاتهم بضع عشرة حلقة ، ولكلٍ منهم أنصار ومريدون يؤيدونه ، ويتبعون قوله . وهناك مخالفون له يردون عليه ، ويفندون رأيه ، وما كان أحد منهم يجرأ على أن يقول لمناظره اسكت ولا تقل هذا ، أو لا يجوز لك أن تقول هذا أو أبلّغ أمرك الى السلطان ، بل كان لهم من حرية الاسلام وحماية الخلافة ما على أساسه بنى الأوربيون حريتهم الفكرية التي كان من نتاجها مدنيتهم الحديثة . وقد صوّر لنا فيلسوفهم فولتير هذه الحرية ، بألطف تصوير ، وأجمل تعبير مذ قال : (إنني لا أوافقك على ما تقول ، ولكنني أقاوم جهد طاقتي كلَّ من أراد أن يسلبك حريتك في أن تقول) .

دعونا الآن من الأوربيين وعودوا بنا الى ما كان من حرية العلم والفكر ومجالس المناظرة في تاريخ الاسلام ، وعهد خلفاء العرب الكرام .

*
* *

لو أقسم مقسمٌ بأنه لم تقم في القرون الخالية أمة تضاهي الأمة العربيـة في حبّ العلم والتغنّي باسم العلم، والتفنّن في نشر العلم لما كان غالياً ولا حانثاً .

وبديهي ان السببَ في ذلك هو القرآن الكريم : فقد اتفق علماء التفسير على ان أول كلمة أُنزلت من السماء على قلب النبي العربي (ﷺ) هي كلمـة (اقرأ) : التي افتُتحت بها سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وبعد أن أمره الوحي بالقراءة أرشده الى تمجيد الخالق الذي كان من أكبر نعمه على البشر أن علّمهم ما لم يكونوا يعلمون . ومهّد بين أيديهم السُبل والأسباب لتحصيل العلم . فقال : (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم) .

وانما قال علّم بالقلم لأن القلمَ آلةُ الكتابة المعروفةُ في ذلك العهـد . فالوحيُ نبّههم الى الشكر لله على نعمة آلة الكتابة التي يعرفونها ، فلا ينافي هذا أن نشكر له تعالى على أدوات الكتابة التي هدى اليها البشر فيما بعد : كالقلم الحديدي والقلم الرصاصي وآلة الطباعة والآلة الكاتبة التي تسمى بالافرنجية (تايب ريتر) ثم آلة تصوير الكتابة التي اخترعت أخيراً وتسمى (فوتوغرافير) .

وقـد سمعتُ مرةً بعض شيوخ الدين المتعصبين للقديم يفضّل كتُب العلم المخطوطة على الكتب المطبوعة . ويقول إن بالكتب المخطوطة وحدها الفتوحَ والبركةَ والفائدة : ذلك لأن الكتب المخطوطة كتبت بالقلم الذي نوّه به الوحي الالهي مذ قال تعالى : (علّم بالقلم) ولم يقل علم بالطبع ولا بآلة (تايب ريتر). ويستدل على ذلك أيضاً بتبحر أسلافنا العرب في العلوم ووضعهم المصنفات الكبرى التي كل واحد منها يشبه أن يكون دائرة معارف مما لا يقدر على مثله اليوم إلا الجمعيات المؤلفة من عدة أشخاص . وما ذلك إلا ببركة كتب الخط المكتوبة بقلم القصب، الكريم الأصل والنسب .

هذا ما كان يقوله ذلك الفقيه الصالح . ولا يتسع معنا الوقت لمجادلته ، فلنرجئها الى وقت آخر . ولنقبل على الموضوع .

الكلام على (العلم في أمتنا العربية) يشتمل على مسائل كثيرة :

(١) ما ورد من الحض على طلب العلم في القرآن والحديث الشريف .

(٢) مسائل العلوم التي امتلأ بها القرآن وفاضت بها كتب السنة .

(٣) ما رُوي عن علماء العرب في مزايا العلم والعلماء .

(٤) اشتغال علماء العرب بالعلوم ووضعهم المصنفات فيها .

(٥) جمع ملوك العرب وعظمائهم للكتب وتشييدهم دوراً خاصةً لها .

(٦) عقدهم مجالسَ المناظراتِ العامة بين العلماء لأجل تمحيص الحقائق العلمية .

(٧) العلوم التي اخترعها علماء العرب أو تناولوها من الأمم القديمة عن كثب فوسعوا دائرتها ، وأصّلوا أصولها ، وفرّعوا مسائلها . ثم استفاد منها الافرنج في نهضتهم ومدنيتهم الحديثة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

(علم المناظرة)

ومن هذه العلوم (علم المناظرة) .

الداعي لوضع علم المناظرة هو أنه لما كانت العلوم تتزايد يوماً بعد يوم . وكانت مراتبُ أذهان المشتغلين بها متفاوتةً مختلفة . وكان لا يخلو علمٌ من تصادم الآراء ، وتباين الافكار بين أهله — لذلك كله مست الحاجة الى وضع قانون يقف وقفة الحَكَم بين الجانبين المتناظرين بشرط أن يُراعى فيه الوصول الى الحق . والاّ كان مكابرة ومشاغبة .

وهذا القانون هو (علم المناظرة) وربما كان في قوله تعالى : (ووضع الميزان)

إشارة الى هذا القانون، ولما كان مبناه على أساس تأدُّب أحد المتناظرين مع رفيقه سموه أيضاً : آداب البحث .

وقالوا في تعريفه هو :

علم بأصول يُبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المتناظرين . و (موضوعه) الأدلة من حيث أنه يثبُتُ بها المدّعى على الغير . و (الغرضُ منه) تحصيلُ ملكة المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث ويضيع الصواب .

وأشهر المصنفات العربية في هذا الفن (فن آداب المناظرة) هي :

(١) آداب شمس الدين السمرقندي ، المتوفى في حدود (٦٠٠) للهجرة .

(٢) آداب عضد الدين الايجي ، المتوفى سنة (٧٥٦) .

(٣) آداب ابن كمال باشا المتوفى سنة (٩٤٠) .

(٤) آداب طاشكبرى المتوفى سنة (٩٦٢) .

وقد جرت بين علمائنا في العصور المختلفة مناظرات ذات شأن يجد المطالع نموذجات صالحة منها في كتب التراجم ، ولا سيما في كتاب (معجم الأدباء) لياقوت ، وفي كتاب (الطبقات الكبرى) لتاج الدين السبكي .

أما اهتمام خلفاء العرب وأمرائهم بالمناظرات فحدث عنه ولا حرج ، وأشهرهم في ذلك بل وفي حب العلم والعلماء (المأمون العباسي) .

سأله يوماً أحد أبناء عمه من بني العباس :

— أيحسن بنا طلب العلم والأدب ؟ (يعني ونحن أبناء ملوك) فأجابه المأمون :

— والله لأنْ أموتَ طالباً للعلم خير من أن أعيش قانعاً بالجهل .

— والى متى يحسن بي طلب العلم ؟

— ما حسنت بك الحياة .

كأنه يقول : ما دُمتَ ترى الحياة حسنة بكون طلب العلم حسناً ، والحياة

حسنة مستحسنة بالطبع ، فكذلك ينبغي أن يكون طلب العلم ، ومستند المأمون في رأيه قوله (ﷺ) : «اطلب العلم من المهد الى اللحد» .

هذا أثر من آثار حب المأمون للعلم ، أما حبه للمناظرات العلمية واهتمامه بأمرها ، فالشاهد عليه ما قاله المؤرخ المسعودي . ونحن ذاكروه لكم ملخصاً :

« بعد أن قضى المأمون نهمته من العلوم القديمة ودراسة كتبها ، انصرف عنها الى علم الكلام على طريقة المعتزلة ، وجعل يجالس المتكلمين ويقرب الجدليين والنظارين : كالنظام وأبي الهذيل وغيرهما ممن كان يوافقهم أو يخالفهم (أي أن المأمون ما كان يقصر عنايته على علماء مذهب المعتزلة بل كان يفسح صدره ومجلسه لعلماء الفرق على اختلاف آرائهم ومشاربهم) . وكان يستقدم العلماء من الأمصار البعيدة . ويُجري عليهم الأرزاق . فرغب الناس في صناعة النظر والمناظرة . وتعلموا البحث والمجادلة . ووضع كل فريق منهم كتباً ينصر فيها مذهبه . ويؤيد نحلته . رافعاً بذلك صوته من دون خوف ولا إحجام . وقد خصص المأمون يوم الثلاثاء من كل أسبوع للمناظرة . ووضع لذلك ترتيباً خاصاً : فاذا حضر المتناظرون من أرباب المقالات أُدخلوا حجرة مفروشة . وقيل لهم : انزعوا نعالكم . ثم تُحضر الموائد ، ويقال لهم : أصيبوا من الطعام والشراب ، وجددوا الوضوء ، ومَن خفّه ضيّق فلينزعه . ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها . فاذا فرغوا أُتوا بالمجامر فيُبخروا وطُيبوا . ثم يخرجون الى المأمون فيستدنيهم ، حتى يدنون منه ، ويناظرهم أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين ، فلا يزالون كذلك الى أن تزول الشمس وهو وقت الظهر . ثم تُنصب الموائد مرةً ثانيةً للعشاء فيطعمون وينصرفون » .

* * *

وإني أيها السادة ذاكر لحضراتكم في موقفي هذا إحدى المناظرات العجيبة التي جرت في مجلس المأمون وكان لها دويٌّ عظيم في ذلك الزمان ، وتأثير كبير في نفوس أهله ، بل انها خففت من غلوّ المأمون أيضاً في بعض آرائه ،

وذلك لأنها تعلقت بمسألة علمية دينية فلسفية : هي أول مسألة قامت حولها الدنادن والمجادلات بين علماء العرب في عصرهم الأول وشطرتهم شطرين : (معتزلة) و (سنة) تلك المسألة هي :

(هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق) ؟

وموضع الخطورة في هذه القضية : أننا اذا قلنا إن القرآن مخلوق . يقال لنا : كيف يكون مخلوقاً وهو كلام الله وكلامه قديم كذاته . وإذا قلنا إنه غير مخلوق : كيف نقول انه غير مخلوق ونحن نسمعه أصواتاً ، ونكتبه حروفاً ، ونجلده مصحفاً ، ونحمله بأيدينا من مكان الى آخر . هذا ظاهر الخلاف في هذه المسألة . وربما كان له باطن لا يمكننا التصريح به ، ولا الاشارة اليه في هذا الموطن . وانما نقول بالاختصار : إذا أردنا من القرآن كلامَ الله كان قديماً لأنه يكون إذ ذاك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة . وإن أريد بالقرآن ماعدا الصفة القديمة من صوت مسموع . ومصحف مصنوع كان حادثاً .

هذه المسألة على بساطتها ووضوحها كان لها في تاريخ الاسلام الديني أسوأ الأثر . وآل الأمر فيها الى أن يُسجن مثل الامام أحمد بن حنبل ويقيَّد ويعذَّب . وكان سواد الأمة ومعظم علمائها من الفريق القائل بأن القرآن قديم . أما الفريق القائل بأنه حادث ويسمى المعتزلة فاتفق له من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله . ويحمل الناس عليه . ومن ثَمَّ كانت صولته أشدّ . وعاملُ جبروته أنفذ . وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيدوا القول بالحدوث الخليفة (المأمون) . فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح ، وعقل حصيف ، يشدّد على الناس . ويكلفهم القولَ برأيه ومذهبه . فكان الناس لعهده يستترون في بيوتهم . وينقطعون عن شهود الجمعة والجماعة ويتسللون

من بلد الى بلد خشية الفتنة والإرهاق . وقد مُنع الفقهاء والمحدثون من القعود للناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرُّصافة وفي غيره من المواضع : إلاّ (بشراً المرّيسي) و (محمد بن الجهم) ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن . وكل من أظهر مخالفتهم قيد اليهم . وعُرض قوله عليهم . فان أمرَ نُكِّل به أو نفي من الأرض . وكان كثيرون من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفاً على أنفسهم . وفي الباطن يبرأون الى الله مما أعلنوه .

* * *

شاع أمر هذه المحنة في بغداد . وجعل أهل الأمصار الاسلامية يتداولون خبرها . ويتعوّذون بالله من شرّها .

قال (عبد العزيز بن يحيى الكناني) : (وهو من جماعة [1] أهل السنة) : اتصل بي وأنا في مكة ما ابتُلي به الناس في بغداد ، وكيف استطال عليهم بشر المرّيسي ، ولدّس على (المأمون) وخواص مماكنه ، فأطال همي هذا الخبر ، وأطار نومي ، فخرجت من مكة ، متوجهاً الى ربي . وأسأله سلامتي ، حتى قدمتُ بغداد ، فشاهدتُ من غلَظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إليّ .

وبعد أن وصل (عبد العزيز الكناني) الى بغداد جعل يبتهل الى الله أن يسدّده ويثبّت قدمه ويرشده الى طريقة يتوصّل بها الى قهر تلك الفئة الجائرة . فبدا له أن يُخفي أمره عن الناس جميعاً خشية أن يُنكَّل به قبل أن يُسمع كلامه . ثم خطر له خاطر عجيب وهو أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرُّصافة . ويرفع صوته بمخالفة المعتزلة . وتسفيه آرائهم ، وطلب محاجّتهم . فإن اشهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون البطش به ، قبل مناظرته ، واستماع قوله .

(١) توفي سنة « ٢٤٠ هـ »

ثم ذهب عبد العزيز ومعه ابن له صغير الى جامع الرُّصافة يوم الجمعة ولم يكد ينتهي الإمام من الصلاة حتى سمع الناس من الصف الأول حيال المنبر صوت رجل مكّيّ الزيّ ، حجازيّ اللهجة ، واقف على قدميه . يُنادي بأعلا صوته ابنه (وكان أقام ابنه قبالته عند الأسطوانة الأخرى) قائلاً :

الأب : ما تقول في القرآن يا بُنيّ ؟

الابن : كلام الله منزل غيرُ مخلوق يا أبت .

فارتاع الناس لهذه المحاورة ، وهربوا على وجوههم خارجين من المسجد فأسرعت الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه الى رئيسهم (عمرو بن مسعدة) وهو من أشهر رجال دولة المأمون ، وقد اتفق مجيئه يومئذ ليصلي الجمعة في جامع الرُّصافة . (ولما وقف عبد العزيز وابنه بين يديه) سأله :

رئيس الشرطة : أمجنون أنت ؟

عبد العزيز : لا .

الرئيس : أموسوس أنت ؟

عبد العزيز : لا .

الرئيس : معتوه ؟

عبد العزيز : لا ! والحمد لله . واني لصحيح العقل ، جيد الفهم .

الرئيس : أمظلوم أنت ؟

عبد العزيز : لا .

فالتفت رئيس الشرطة الى رجاله وقال لهم : مُرُّوا بالرجل وابنه سحباً الى الدار (أي دار الشرطة) .

فاحتملها الشرطة وجعلوا يعْدُون بهما عَدْواً شديداً ، وأيديهما في أيديهم يَمنةً ويَسرةً . حتى صاروا بهما الى (دار الرئيس) على هذه الحالة المنكرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان رئيس الشرطة سبقهم اليها . فأُدخلا عليه وهو جالس في صحن الدار على كرسيٍّ من حديد وشَوارَه (١) عليه . فسأله قائلاً :

الرئيس : من أين أنت ؟

عبد العزيز : من مكة .

الرئيس : ما حملك على ما صنعتَ بنفسك ؟

عبد العزيز : طلبتُ القُربة الى الله . ورجوتُ الزلفى لديه .

الرئيس : هلاّ فعلتَ ذلك سرّاً من غير نداء . ولا اظهار مخالفة لأمير المؤمنين . ولكن أردتَ الشهرة والرياء والتودد . لتأخذ أموال الناس بالباطل .

عبد العزيز : ما أردتُ إلا الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه .

الرئيس : وهل تُقدم على المناظرة بين يدي الخليفة ؟

عبد العزيز : نعم . وهذا ما قصدته وبلغت بنفسي ما ترى . وتغريري بنفسي وسلوكي البراري أنا وولدي . رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في كتابه . وما أخذه عليّ وعلى العلماء من البيان (فليتأمل علماء هذا الزمان) .

الرئيس : لعلك جعلتَ هذا سبباً لغيره من المطالب بعد أن تصل الى أمير المؤمنين . إذا كنت تنوي ذلك فقد حلّ دمك .

عبد العزيز : إن تكلمتُ في شيء غير هذا ، وجعلتُ هذا ذريعةً له فدمي حلال .

فوثب رئيس الشرطة عن كرسيه . وقال لأعوانه: أخرجوه بين يديّ الى الخليفة .

---

(١) والشَوار بفتح الشين اللباس والزينة ، فشَوار رئيس الشرطة وشوار أمراء الجند : هو اللباس الرسمي ذو الطراز والزركشة الذي يدل على مراتبهم . أما اذا قالوا أقبل الوزير وسواده عليه فيعنون بالسواد اللباس الأسود الذي كان يلبسه القضاة والوزراء وكبار الكتّاب . فهو لباسهم الرسمي وعنهم أخذ الأتراك العثمانيون لباس السواد الرسمي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال عبد العزيز : فأخرجوني أنا وابني بين يديه وهو راكب على فرسه ، وجعلوا يعدُون بنا في شوارع بغداد على وجوهنا وأيدينا في أيديهم حتى وصلنا الى قصر الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد .

فدخل رئيس الشرطة على المأمون . وبقيت أنا وابني في الدهليز واقفَيْن على أرجلنا ، فأطال . ثم خرج الى حجرةٍ له وأمر أعوانه باحضاري . ثم افتتح الحديث معي قائلاً :

الرئيس : أخبرتُ أمير المؤمنين بخبرك وما فعلتَه في المسجد وما سألتَه من الجمع بينك وبين مخالفيك للمناظرة بين يديه ، وقد أمر — أطال الله بقاءه وأعلا أمره — بإجابتك الى ما سألت . وأمرَ بجمع المناظرين من العلماء الى مجلسه — أعلاه الله — في يوم الاثنين الأدنى ، وقال أنه سيحضُر هو بنفسه معكم . فتتناظرون بين يديه ويكون هو الحكَم بينكم .

عبد العزيز : أطال الله بقاء مولانا أمير المؤمنين . وأيّد دولته .

الرئيس : أعْطِنا كفيلاً بنفسك حتى تحضُر معهم يوم الاثنين . وليس بنا حاجة الى حبسك .

عبد العزيز : أدام الله عزّك ! أنا رجل غريب ، ولستُ أعرف في هذا البلد أحداً . ولا يعرفني من أهلها أحد . فمن أين لي من يكفُل بي . وعلى الأخص بعد أن أظهرت مقالتي . لو كان أهل بغداد يعرفونني حقّ المعرفة لتبرّأوا مني ، وهربوا من قربي ، وأنكروني .

الرئيس : نوكّل بك من يكون معك حتى يُحضرك في ذلك اليوم وتنصرف الآن فتصلح من شأنك . وتتفكر في أمرك . فلعلك ترجع عن غيك . وتتوب من فعلتك ، فيصفحُ أمير المؤمنين عنك .

عبد العزيز : ذلك اليك أعزّك الله فافعل ما رأيت .

* * *

ولما جاءت غداة يوم الاثنين ، حُمِلَ عبد العزيز مكرَّماً الى دار الخلافة وأُدخل الى حُجرة (رئيس الشرطة) فسأله هذا : عما اذا كان لم يزل مقيماً على رأيه ، ثم نصح له وحذره ، وخوَّفه عاقبة مخالفته أمير المؤمنين فيما إذا ظهر عليه مناظره ، وإنه ليس حينئذٍ إلا السيف ، وإنه إن كان ندم ورجع عن مقالته فإنه يسأل العفو عنه من أمير المؤمنين ، وضمن له جائزة وقضاء ما له من حاجة .

فأجابه عبد العزيز : بانه ما خرج من بلده (مكة) إلا لإقامة الحق .

الرئيس : وقد وقف على رجليه : — قد حرصتُ على خلاصك أيها الرجل جَهدي ، وأنت حريصٌ على سفك دمك جهدك .

عبد العزيز : معونةُ الله أعظم وألطف من أن ينساني ، وعدلُ أمير المؤمنين أوسعُ من أن يضيق عني .

وكان قد صدر أمر الخليفة المأمون الى أقاربه أشياخ بني هاشم أن يركبوا الى قصر الخلافة في يوم الاثنين لأجل شهود المناظرة ، والى الفقهاء والقضاة الموافقين للمعتزلة على مذهبهم ، والى سائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا ، والى القوّاد والأولياء (١) أيضاً .

ففي يوم الاثنين هذا ركب المدعوون كلهم بالسلاح لإحداث الهيبة في نفس عبد العزيز وفي نفوس الذين على رأيه ، ومن يوشك أن يفسدهم بعقيدته .

قال عبد العزيز :

ثم أُذن لي بالدخول الى الخليفة ، فدخلت ثم لم أزل أُنقل من دهليز الى

(١) المراد بالأولياء الموالون والميالون بالحب والاخلاص للخلافة ، وليس المراد بالاولياء ما نفهمه نحن اليوم من انهم اهل الباطن وشيوخ رجال الطرق وكبار المتصوفين والمشهورين بالكرامات .

دهليز • حتى وصلت الى (الحاجب) أي صاحب الستر الذي على صحن دار الخلافة •

قال عبد العزيز : ولما بلغت الحاجب سألني إن كنت أحتاج الى تجديد الوضوء ؟ فقلتُ مالي الى ذلك حاجة • فقال : اركع ركعتين • فصلى عبد العزيز أربع ركعات بدل الركعتين ودعا الله بقلب سليم • عندها قال له الحاجب : استخر الله • وقم فادخل •

قال عبد العزيز : ثم أزاح الحاجب الستر ، وتقدَّم اليَّ خدام القصر ، فأخذوا بيدي وعضدي • وجعل جماعةٌ منهم أيديَهم في ظهري وعلى رقبتي ، وطفقوا يعدون بي عدواً شديداً في صحن الدار ، فنظرني الخليفة المأمون من بعيد ، فسمعت صوته يقول ، خلُّوا عنه ، خلُّوا عنه • وكثر ضجيج الحجاب وقوّاد العسكر ورفعوا أصواتهم مردّدين كلمة الخليفة : (خلوا عنه ، خلوا عنه) • فخلُّوا عني • وقد كاد يتغير عقلي من شدة الفزع • ومن كثرة ما رأيت من أنواع السلاح ، الذي ملأ صحن القصر • وكنتُ قليل الخبرة بدار الخلافة • ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها •

فلما أوصلني الحجّاب الى باب ديوان الخليفة وقفت • فسمعت (المأمون) يقول : أدخلوه وقرّبوه • فلما دخلت من باب الديوان ، وقعتْ عيني عليه • وقبل ذلك لم أكن انتبهتُ اليه من كثرة ما كان على الباب من القوّاد والحجّاب فقلت :

— السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته •

— وعليكم السلام ورحمته وبركاته • ثم قال : أدْنُ مني • فدنوتُ منه • ثم جعل يقول : أدْنُ مني • فدنوتُ منه • ثم جعل يقول : أدْنُ ، أدْنُ • ويكرر ذلك • وأنا أدنو خطوةً خطوة • حتى وصلتُ الى الموضع الذي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يجلس فيه المتناظرون ، ويُسمع كلامهم ، والحاجب معي يقدّمني ، فلما انتهيت الى موضعي ، قال لي المأمون : اجلس فجلست ، ولم أكد أستقر حتى سمعت رجلاً من جلساء الخليفة يقول : يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا الرجل قبحُ وجهه ، فوالله ما رأيتُ أقبح وجهاً منه .

قال عبد العزيز : فسمعتُ قول هذا الرجل وفهمته وما رأيت شخصه لكثرة ما أنا عليه من الجزع والرعدة ، وقد لاحظ المأمون مني ذلك الخوف وما قد نزلَ بي من الهول ، فجعل ينظر إليَّ من طرف عينه وأنا أنتفض وأرتعد ، فأحبَّ أن يؤنسني ويسكّن روعتي ، فطفق يكثر من الكلام مع جلسائه ، ويكلم رئيس الشرطة (عمرو بن مسعدة) ، ويتكلم بأشياء لا مناسبة لها في المجلس ، وهو يريد بذلك كله إيناسي ، وتسكين اضطرابي ، ثم أدار نظره في الديوان وجعل يُطيل التأمل في الجدران ، فوقعت عيناه على موضعٍ من نقش الجص قد انتفخ ، فقال مخاطباً رئيس الشرطة (عمرو بن مسعدة) : يا عمرو ! أما ترى هذا النقش في الجص قد انتفخ وسيقع ؟ فبادر الى قلعه وعمله ، فقال عمرو : قطع الله يد صانعه : فانه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون : ما الاسم ؟

عبد العزيز : عبد العزيز .

المأمون : ابن مَنْ ؟

عبد العزيز : ابن يحيى بن مُسلم .

المأمون : وما اسم جدك ؟

عبد العزيز : ميمون الكناني .

المأمون : أوَ أنت من كنانة ؟

عبد العزيز : نعم يا أمير المؤمنين .

وسكت المأمون هنيهة لا يتكلم . ثم سأله :

المأمون : ومن أي البلاد أنت ؟

عبد العزيز : من الحجاز .

المأمون : من أيّ الحجاز ؟

عبد العزيز : من مكةَ .

المأمون : ومَنْ تعرف من أهل مكةَ ؟

عبد العزيز : يا أمير المؤمنين قلّ من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . إلاّ رجل لجأ اليها أو من جاور بها فاني لا أعرفه .

المأمون : أتعرف فلاناً وفلاناً . وجعلَ يعدّد جماعةً من بني هاشم .

عبد العزيز : نعم يا أمير المؤمنين أعرفهم .

المأمون : وأنسابهم وأنسالهم (وذكر شيئاً من ذلك) .

عبد العزيز : نعم . (وأجابه عما سأل) .

قال عبد العزيز : وإنما أراد المأمون إيناسي وإزالة الوحشة عني فأنشطُ للكلام والمناظرة . وبالفعل ذهب عني ما كنت فيه من الجزع . وجاءت المعونة من الله . فقوي بها ظهري . واشتدّ قلبي . واجتمع فهمي .

ثم أقبل المأمون عليّ وقال : ياعبد العزيز ! إنه قد بلغني ما كان منك . وقيامك في المسجد الجامع . وقولك ان القرآن كلام الله غير مخلوق . بحضرة الناس وعلى رؤوس الخلائق . وما كان من مسألتك أن يُجمع بينك وبين مخالفيك لتناظرهم في مجلسي ، ثم أستمعُ منك ومنهم . وها أنا ذا قد جمعت المخالفين لك لتناظرهم بين يديّ . وأكون أنا الحكم بينكم . فان تبينتْ الحجة لك عليهم وظهر الحق معك اتبعناك . وان تكن لهم الحجة عليك والحق معهم عاقبناك . وان استقلتَ واستعفيتَ أقلناك وعافيناك . ثم أقبل بوجهه على (بشر المريسي) وقال له : يا بشر ! قم الى عبد العزيز فناظره وأنصفه .

فوثب بشر من موضعه كالأسد يثب الى الفريسة فرحاً . فانحط علي . ووضع ركبته وفخذه الأيسر على فخذي الأيمن فكاد أن يحطمه . وغمز علي بقوته كلها . فقلتُ له مهلاً : إن أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلي ولا بظلمي . وإنما أمرك بمناظرتي وإنصافي . فصاح به المأمون وقال : تنحَّ عنه يا بشر ، وكرَّر ذلك عليه . حتى باعده عني . ثم أقبل المأمون عليَّ وقال : ياعبد العزيز ناظرْه على ما تريد . واحتجَّ عليه ، ويحتج عليك ، وتسأله ويسألك ، وتناصفا في كلامكما ، وتحفظا ألفاظكما . فقلت : السمع والطاعة لأمير المؤمنين .

قال عبد العزيز : ولكنني لم أرد أن أشرعَ في المناظرة قبل أن أنتقمَ من ذلك الرجل الذي سمعته في المجلس يعيبني ويقول عني : إنني قبيح الوجه مشوَّه الخلقة . فقلت في الرد عليه مخاطباً الخليفة :

يا أمير المؤمنين ! إن يوسف الصديق الذي هو أحسن البشر وجهاً كان حسنهُ وبالاً عليه ، فظُلِمَ وسُجِن . ولما وقف ملك مصر على سعة علمه وحسن مهارته في تعبير الرؤيا صيره على خزائن الأرض . وفي آخر الأمر اعتزل الملكُ الأمور وصار كأنه من تحت يد يوسف .

وبديهي أن هذه المنزلة التي نالها يوسف ليست الا لعلمه وفضله ، لا لجماله وحسن وجهه ، وقال يوسف للملك : اجعلني على خزائن الأرض ، إني حفيظ عليم . ولم يقل : اجعلني عليها لأني حسَنٌ جميل . فوالله ما أُبالي يا أمير المؤمنين إن كان وجهي أقبحَ مما هو الآن ما دام أن ربي أعطاني ولله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتفسيره ما أعطاني .

فتعجب المأمونُ من قول عبد العزيز ولم يفهم الداعي اليه فسأله :

— أيُّ شيء أردتَ بهذا القول . وما الذي دعاك اليه ؟

فأجابه عبد العزيز : إني سمعت واحداً من جلسائك يقول : (يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه) فأيُّ عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل

فتبسم المأمون حتى وضع يده على فمه . فقلتُ : يا أمير المؤمنين ! قد رأيتك تنظر الى نقش الجص في الحائط وتنكر انتفاخ الجص ، وسمعت رئيس الشرطة بعيب الصانع ولا يعيب الجص . فقال المأمون : نعم ! العيب لا على الشيء المصنوع ، إنما العيب على صانعه . فقلتُ : صدقتَ يا أمير المؤمنين وقلت الحق . فهذا الرجل الذي عاب وجهي يعيب ربي لمَ خلقني قبيحاً !! فازداد المأمون تبسماً حتى ظهر ذلك عليه . ثم قال : يا عبد العزيز ! ناظر صاحبك ، فقد طال المجلس بغير مناظرة .

عندها دخلا في الجدل وأخذ كلٌّ منهما يسرد النصوص استدلالاً على مذهبه . الى أن سأل بشر المعتزلي عبدَ العزيز سؤالاً وكأنه الجواب عليه ، ووافقه المأمون قائلاً : هذا يلزمك يا عبد العزيز !!

فلما سمع رفاق بشر الحاضرون في المجلس كابن الجهم وغيره كلام المأمون بالموافقة على طلب بشر جعلوا يضجون ويقولون : ظهر أمر الله وهم كارهون . جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . وطمعوا في أن المأمون يبطش بعبد العزيز .

واستوى بشر في جلسته وجثا على ركبتيه . وجعلوا يقولون : أقرّ والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن .

أما عبد العزيز فأمسك عن الجواب ، ولم يردّ عليهم . فقال له المأمون : مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ! فقال : ان الذي يناظرني هو بشر . وقد سألني وانتظر مني الجواب ، فضجيج هؤلاء أيشْ هو ؟ وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب ، ولستُ أتكلم ما لمَ يسكتوا .

فصاح المأمون بمحمد بن الجهم ومن معه أن يسكتوا فسكتوا ، ثم أقبل عليّ وقال : تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك . فجعل عبد العزيز يتدفّق في الكلام ويسرد الحجج كأنه السيل .

فصاح بشر : يا أمير المؤمنين ! لو تركته يتكلم لجاء بالترهات .

فقال عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! قد جئتُ أنا بالحجج ورضي بشر وأصحابه بالضجيج ، وقطع المجلس ، ومحاولة التملص والخلاص ، ولا خلاص من الله حتى يُظهر الحق ويُزهق الباطل . قال عبد العزيز : فتبسم المأمون حتى غطى فمه بيده ، وأطرق ينكت الأرض باصبعه .

ثم صاح المأمون : يا بشر ! أقبل على صاحبك ، ودع هذا الضجيج .

وعادا الى المناظرة بجدٍ ونشاط . وكان كلما ذكر بشرٌ دليلاً على مذهبه ، نقضه له (عبد العزيز) بأدلة من القرآن ، حتى كأنما آياته كلها مرسومة تحت عينيه .

مثال ذلك : أن (بشراً) استدل على خلق القرآن فقال : لا جدال أن القرآن شيء من الأشياء ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز إنه (خالق كل شيء) فيكون القرآن من تلك الأشياء التي خلقها .

فأجابه عبد العزيز بما خلاصته :

قال تعالى : (ويحذركم الله نفسه) ، فلله نفس . ثم قال في آية أخرى : (كلُّ نفس ذائقة الموت) ، فهل تقول يا بشر ! إن نفس الله داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت ؟

فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جهوريَّ الصوت : معاذ الله ! معاذ الله !

وهكذا كان عبد العزيز يدحضُ حجج خصمه بشر . ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس ، حتى قال له المأمون أخيراً أحسنتَ يا عبد العزيز .

ثم أمر له بعشرة آلاف درهم . فحُملت بين يديه . وانصرف من مجلسه على أحسن حال وأجملها .

قال عبد العزيز : ولم يشع خبر هذه المناظرة بين اخواني أهل السنة حتى

سُرُّوا جميعاً بنا وهبه الله لهم على يديّ من إظهار الحق ، وقمع الباطل ، وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفها من الغمّ والحزن ، وجعل الناس يجيئون الى زيارتي مهنئين أفواجاً أفواجا . فخشيتُ على نفسي العاقبة . فأغلقت بابي واحتجبت عنهم ، خوفاً على نفسي بل خوفاً عليهم من مكروه يلحقهم بسببي . ثم ألحُّوا عليَّ قائلين : لا بدَّ أن تُمليَ علينا ما جرى بينكما من الاحتجاج لنعرفه ونتعلمه . فتهيبتُ ذلك ، وتخوّفت سوء عاقبته . فلما أكثروا من الإلحاح ، قلتُ : أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يلحقني ضرر بذكره فرضوا به . فأمليتُ عليهم أوراقاً ، أودعتها نتفاً من أخبار المناظرة ثم وزّعتهـا بينهم ، ليشتغلوا بها عني ، وينقطعوا عن ملازمة بابي .

* * *

هذا أيها السادة ما وسعه الوقت من أخبار هذه المناظرة التاريخية الممتعة ، على أنني لم أذكر من متعلقاتها إلا ما كان فيه دلالة على عادات ذلك العصر ومشارب أهله ، وأخلاق علمائه ، ولا سيما أخلاقَ (المأمون) وحلمَه وإنصافَه .

ولو أنني توسعتُ فذكرتُ لكم مسائلَ المناظرة نفسها وسردتُ المناقشات العلمية والنصوص الدينية التي كان يتداولانها ويبحثان فيها : من جهة اللغة تارةً ، ومن جهة القياس تارةً أخرى — لو سردتُ ذلك لكم ، لضاق منكم الصدر ، ولكان لكم في الانفضاض من حول محاضركم أجمل العذر .

المغربي

الاشتقاق

- ٣ -

خراش – اشتق من الخارشة مخارشة الكلاب وقتل بعضها بعضاً (١) .

عدي – سمي بالقوم يحملون في القتال . يقال : رأيت عَديَّ القوم .

قال الشنفري :

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفاً اذا أنست أولى العديّ اقشعرت (٢)

---

(١) القاموس : خرَشه يخرِشه خدشه . ولعياله كسب لهم وطلب لهم الرزق كأخرَش فيها . والبعير اجتذبه بالمخروش وهو المحجف . وبعير مخروش وسم بسمة الخراش ككتاب وهي مستطيلة . وأبو خراش خُوَيلد بن مُرة الهُذَلي شاعر . وكلب خُراش بطافاً كهراش . وخراش عن أنس كذاب . اللسان : الخرش الخدش في الجسد كله . قال الليث : الخرش بالأظفار في الجسد كله . يقال : خرشه يخرشه خرشاً . وكلب خراش . وخرشه الذباب وخرشه اذا عضه ، والخرشة بالتحريك ذبابة . والخرشة الذباب . وبها سمي الرجل وخرشة وخراشة وخراش ومخارش كلها أسماء وسماك بن خرشة الأنصاري . وأبو خِراش الهذلي بكسر الخاء . وأبو خُراشة بالضم .

(٢) الأساس : مرَّ غزِيّ بني فلان وعديهم وهم الذين يعدون على أرجلهم . ولم يزل بنو فلان حجيجاً غزياً : أي حجاجاً غزاة . القاموس : عدا عدواً وعدُواً وعدواناً محركة الى أن قال : وكغَنِي جماعة القوم كالعادية فيهما . أو هي للفرسان . المخصص : السيحف من النصال الطويل . وقيل : العريض وأنشد البيت ثم قال : وقد تقدم أنه الطويل من الناس . والبيت المستشهد به –

طابخة — يقال : ان ابني الياس طابخة ومدركة طلبا إبلاً لهما ذهبت ، فقعد طابخة يصنع طعاماً ومضى مدركة فأدرك الابل فسميا بذلك[١] .

معبد — اشتق من العَبَد وهو الغضب . يقال : عبد الرجل اذا غضب[٢] .

غزية — اشتق من الغزو . ويقال للقوم اذا غزوا مرَّ غزيّ القوم[٣] .

— من قصيدة أوردها الضبي في مفضلياته مستهلها :

ألا أم عمرو أجمعت واستقلت وما ودعت جيرانهـا إذ تولت

والوفضة : الجعبة . وفي القاموس : خريطة الراعي لزاده وأداته . والجعبة من أدم جمعه جعاب . والسيحف السهم العريض النصل الطويل .

(١) القاموس : والطابخة الهاجرة . ولقب عامر بن الياس بن مضر . وولد الياس عمراً وهو مدركة وعامراً وهو طابخة . وعميراً وهو قمعة . وأمهم خندف كزبرج وهي ليلى بنت حلوان بن عمران . وكان الياس خرج في نُجعة فنفرت إبله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها . وخرج عامر فتصيدها وطبخها . وانقمع عمير في الخباء ، وخرجت أمهم تُسرع . فقال لها الياس : أين تخندفين ؟ فقالت : مازلت أخندف في إثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف . وحسين بن ميمون الخندفي محدث . ومحمد بن عبد الغني الخندفي له ذكر . والخندفة أن يمشي مفاجّاً ويقلب قدميه كأنه يغرف بهما وهو من التبختر .

(٢) القاموس : والعبد بالتحريك الغضب ، والحرب الشديد ، والندامة ، وملامة النفس ، والحرص ، والانكار . عبد كفرح في الكل . وسموا عِباداً ، وعُباداً ، ومَعبَداً ، وعبديداً ، واعبداً ، وعَباداً ، وعابداً ، وعَبيداً .

(٣) مرَّ كلام في عدي يتعلق بهذا الحرف . وفي القاموس : وسموا غازية ، وغزية كغنية اه قال الشاعر :

وما أنا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

وفي الأساس : مرَّ غزيّ بني فلان وعَديّهم وهم الذين يعدون على أرجلهم ولم تزل بنو فلان حجيجاً غزياً أي حجاجاً غزاة .

السابب — يقال للماء : ساب يسبب سيباً اذا جرى على وجه الأرض[١] ·

جُلاح — من الجلَح · والجلح ذهاب شعر مقدم الرأس · يقال : رجل مجلوح وجليح وجلاح كما يقال : طويل وُطوال[٢] ·

جلهمة : اشتق من جلهمة الوادي وهو ما استقبلك منه اذا تلقيته [وأصله من الجَلَه] فالعرب تزيد الميم في أشباه ذلك · فيقال : فسحم فنرى انه من الانفساح · ويقال للرجل اذا كان عظيم العجيزة ستهم ، فنرى انه اشتق من الاست · ويقال للأزرق : زرقم · ويقال للناقة اذا أسنت فانكسرت أسنانها : دِلقم · ويقال للشديد الذي لا يخرج منه شيء خرز وناقة خرزم[٣] ·

---

(١) المصباح : ساب الفرس ونحوه يسيب سيباً اذا ذهب على وجهه · وساب الماء جرى فهو سائب · وباسم الفاعل سمي · وسيبته بالتشديد فهو سيب · وباسم المفعول سمي · ومنه سعيد بن المسيب · وهذا الأشهر فيـه ، وقيل : سعيد بن المسيب اسم فاعل ·

(٢) المصباح : جلح الرجل جلحاً من باب تعب اذا ذهب الشعر من جانبي مقدم رأسه فهو أجلح · والمرأة جلحاء والجمع جلح مثل أحمر وحمراء وحمر · والجلحة مثل قصبة موضع انحسار الشعر · وأوله النزع ثم الجلح ثم الصلع ثم الجله وشاة جلحاء لا قرن لها · القاموس : وكغراب السيل الجُراف · ووالد أُحيحة ·

(٣) القاموس : الجُلهمة بالضم حافة الوادي وناصيته ويفتح · والشدة · والخطة · والامر العظيم أو اسم · قال أبو هفان المهزمي : جلهمة اسم رجل بالفم منقول من الجلهمة لطرف الوادي · قال : والمحدثون يخطئون ويقولون الجلهمتين " · قال ابن الأثير : زيدت فيه الميم كما زيدت في زرقم وستهم · وقال الأزهري : العرب زادت الميم في حروف كثيرة منها قولهم : قصمل الشيء اذا كسره وأصله قصل · وجلمط رأسه اذا حلقه · وفرصم الشعر اذا قطعه —

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حوشب — وهو العظم الذي في بطن الحافر • والحوشب المنتفخ الجنبين [١] •

مضر — وأصله من اللبن وهو الحازر [٢] •

ويقال : جحوش للغلام الذي قد غلظ ولم يحتلم ، قال الشاعر :

قتلنا مخلداً وابني حراق وآخر جحوشاً فوق الفطيم [٣]

—وأصله فرص • واختار ابن عصفور انه علم مرتجل فميمه أصلية • ورده أبو حيان : بان الارتجال لا ينافي الاشتقاق • وجلهم اسم امرأة أنشد سيبويه للأسود بن يعفر :

أودى ابن جلهم عباد بصرمته ان ابن جلهم أمسى حية الوادي

أراد المرأة ولذلك لم يصرفه • قال سيبويه : والعرب يسمون الرجل جلهمة والمرأة جلهم •

(١) القاموس : والحوشب الأرنب ، والعجل والثعلب الذكر والضامر • والمنتفخ الجنبين ضد • وموصل الوظيف في رُسغ الدابة • أو عظم في بطن الحافر بين العصب والوظيف • أو عظم صغير كالسُلامى بين رأس الوظيف ومستقر الحافر • أو عظم الرُسغ • ورجل •

(٢) القاموس : مضَرَ اللبن أو النبيذ مضْراً ويحرك ومضوراً كنصر وفرح وكرم حمض وابيض فهو مضير وماضر • والمَضيرة مريقة تطبخ باللبن المضير وربما خلط بالحليب • ومضارة اللبن بالضم ما سال منه • ومضر بن نزار كزفر أبو قبيلة وهو مضر الحمراء سمي به لولعه بشرب اللبن الماضر • أو لبياض لونه • وأما الحازر فهو الحامض من اللبن والنبيذ • ومن الوجوه العابس والباسر •

(٣) القاموس : والجحوش كجرول الصبي قبل أن يشتد وهذا التفسير عكس ما جاء من معناه في الأصل فان معنى غلظ اشتد • قال في المصباح : وغلظ الرجل اشتد فهو غليظ ، واستغلظ الزرع اشتد • والثعالبي يؤيد هذا المعنى —

بجاد — سمي بالبجاد من الوبر والبجاد ثوب ينسج من صوف أو من أوبار الابل والجمع البُجُد [١] .

عك — العك ردك الشيء . وردك الكلام على الرجل . يقال : ما زال يعكه بذلك القول حتى أغضبه [٢] .

— في ترتيب أسنان الناس والدواب في كتابه فقه اللغة فيقول : ثم إذا (غلظ الصبي) وذهبت عنه ترارة الرضاع فهو الجحوش عن الأصمعي . وأنشد للهذلي : قتلنا مخلداً (البيت) . وفي الأساس عزا البيت للمعترض الظفري .

الليث : الجحاش مدافعة الانسان الشيء عن نفسه وعن غيره . وقال غيره ، هو الِجحاش والَجحاش . وقد سموا جحشاً ومجاحشاً وجحيشاً . وبنو جحاش بطن منهم الشماخ بن ضرار .

الجوهري : جحاش ابو حي من غطفان وهو جحاش بن ثعلبة بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان . قال : وهم قوم الشماخ بن ضرار . قال الشاعر :

وجاءت جحاش قضها بقضيضها وجمع عوال ما أدق وألأما

ويقول الشماخ :

أتتني سليم قضها وقضيضها تمسح حولي بالبقيع سبالها

(١) وفي مبادىء اللغة : بجاد ككتاب كساء مخطط . ومنه عبد الله ذو البجادين دليل النبي (ﷺ) وسمي به جماعة . والبجاد من بيوت العرب وهو المصنوع من الوبر .

(٢) القاموس : وعكّه عليه عطفه كعاكّه . وفلاناً حدثه بحديث فاستعاده منه مرتين أو ثلاثاً . وماطله بحقه وبشرٍ كرره عليه . وعن حاجته صرفه وحبسه . وبالحجة قهره بها . وبالأمر رده حتى أتعبه . وبالسوط ضربه . والكلام فسره الى أن قال : وعك بن عُدثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن الأزد وليس ابن عدنان أخاً معه .

يحصب — يقال : حصب الرجل يحصب حصباً اذا رمى بالحصى . وتقول اذا رمى الجمرات : قد حصب القوم وهم يُحَصِّبون . ومنه سمي المحصب [١] .

دارم — اشتق من واحد من شيئين . يقال اذا دنا وقوع سنه وذهبت حدته التي تريد أن تقع — قد درم وهو قعود دارم . والدارم هو الاّ يكون للشيء حد ، ويقال : امرأة درماء المرافق اذا لم يكن لمرفقها حد . ويقال للأرنب اذا مشت فقاربت الخطوة : قد درمت تدرم [٢] .

---

(١) الأساس : حصبت الريح بالحصباء . وريح حاصب وحصبوه . وفي الحديث : (هل أحصبه لكم) . وحصبوا المسجد بسطوا فيه الحصباء . وأرض محصبة ذات حصىً . وتقول : هذا حاصب وليس بصاحب . وهم حصب جهنم وحصبت النار طرحته فيها . وبتنا بالمحصب وهو موضع الجمار .

القاموس : ويحصب مثلثة الصاد حي والنسبة يحصي مثلثة . وكمضرب قلعة بالأندلس .

(٢) القاموس : درم الساق كفرح استوى . والكعب أو العظم واراه اللحم حتى لم يبن له حجم . والأسنان تحاتت ، والبعير ذهبت أسنانه ودنا وقوعها . ودرم القُنفُذ يدرِم دَرْماً ودَرَماً بكسر الراء ودرماً ودرماناً محركتين ودرامة قارب الخطو في عجلة . وامرأة درماء لا تستبين كعوبها ومرافقها وكل ما غطاه الشحم واللحم وخفي حجمه . والأدرم الذي لا أسنان له . وأدرم الصبي تحركت أسنانه ليستخلف أخرى الى أن قال : ودارم بن أبي دارم صحابي وابن مالك بن حنظلة ابو حي من تميم وكان يسمى بحراً لأن أباه أتاه قوم في حمالة . فقال له : يا بحر ائتني بخريطة المال فجاءه يحملها وهو يدرم تحتها والدرماء الأرنب . وبنو الأدرم من قريش .

الندب – حي من الأزد . وأصل ذلك الشيء اذا بقي له أثر مشرف قيل : بقي له ندب [١] .

الهان – يصلح أن يكون فاعلاً من الهون هائن وخفف فصار مثل المار والمائر [٢] .

عبقر – يقال القوم اذا ذكروا بالشدة : كأنهم جن عبقر . قال أبو سعيد : سألت أبا عمرو عن قوله : فلم أر عبقرياً يفري فريه . قال : جلد قوم وقويهم . قال رجل من غطفان :

أكلَّفُ أن تحلَّ بنو سُلَيم جنوب الاتم ـ ظلم عبقري [٣]

---

(١) القاموس : النُّدبة أثر الجرح الباقي (ج) نَدَب وأنداب وندوب . وندبه الى الأمر كنصره دعاه وحثه ووجهه . والميت بكاه وعدد محاسنه والاسم النُّدبة . والندْب الخفيف في الحاجة الظريف النجيب جمع ندوب وندباء . وقد ندب كظرف وبالتحريك (نَدَب) الرشق والخطر . وقبيلة منها بشر بن جرير ومحمد بن عبد الرحمن .

(٢) من هار البناء هدمه فهار وهو هائر وهار .

(٣) الأساس : فلم أر عبقرياً يفري فريه . وقال : ظلم لعمر الله عبقري . وقال رجل من غطفان : أكلف (البيت) . تهذيب الألفاظ : والعبقري من الرجال الذي ليس فوقه شيء . ويقال : ظلم عبقري ليس فوقه شيء . قال شُرَيح بن بجر الثعلبي :

أكلف أن تحُلَّ بنو سُليم جنوب الإتم ظلم عبقري
ولو أني مليك بني سليم لسد عليهم حجر خفي

وعلى رواية التهذيب حرفا بني سليم وجنوب منصوبان .

النهاية : الأصل في العبقري فيما قيل : إن عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون . فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق . أو شيئاً عظيماً —

عروة — فعلة من عروت . يقال : عراه يعروه اذا أتاه . قال أبو خراش :

أوابل بالشد الذليق وحشني لدى المتن مشبوح الذراعين خلجم
تذكر ذحلاً عندنا وهو فاتك من القوم يعروه اجتراء ومأثم

خلجم طويل (١) .

الأوزاع — القطع المتفرقة . ويقال : بنو فلان أوزاع في الأرض . ويقال : وزع ذلك الأمر بينهم أذا فرقه . قال المسيب بن علس :

أحللت بيتك بالجميع وبعضهم متفرق ليحل بالأوزاع (٢)

— في نفسه تسبوه اليها . فقالوا : عبقري . (جنوب الاتم) جاء بدله في اللسان (بطون) . وعلى هذه الرواية (الاتم) بالمثناة لا المثلثة كما في الأساس ومن معاني الاتم القطع والاقامة بالمكان . وروي في التهذيب : (بني وجنوب) منصوبا . (التاج) عن الخليل تركته يفري فريه بالفتح والتخفيف . وكان يقول : التشديد غلط . وفي الحديث : فلم أر عبقرياً يفري فريه . روي بالوجهين .

(١) وفي الأساس (أوائل) بدل (أوابل) لوحشني بدل (حشني) و (بذا) بدل (لدى) وأوائل من واءل مواءلة وِوِالاً لجأ وخلص ، ووأل ووائل طلب النجاة ، والى المكان بادر . والحش والحث كلاهما بمعنى السرعة . وأما رواية الأصل أوابل فلعله من وبل الصيد أي طرده شديداً وبالعصا ضربه . والأبير الشديد والعصا الغليظة ، الشد العدو . والذليق الشديد . والمتن الضرب . ومشبوح الذراعين عريضها .

(٢) هذا البيت من قصيدة له من مختارات الضبي في مفضلياته مستهلها :

أرحلت من سلمى بغير متاع قبل العطاس ورعتها بوداع

والأوزاع لقب مرثد بن زيد ابي بطن من همدان منهم الامام عبد الرحمن ابن عبد الرحمن المولود في بعلبك والمدفون في بيروت .

حُجر – اشتق من قول العرب اذا شيئاً يكرهونه حجرا . قال الشاعر :

قالت وفيها حيدةٌ وذعر عوذٌ بربي منكم وحُجر (١)

يحابر – يرى انه جمع اليحبورة وهو طائر (٢) .

رُعين – موضع باليمن . يقال للملك ذو رعين (٣) .

---

(١) القاموس : الحجر مثلثة المنع . وبالكسر العقل . وبالضم أو ضمتين والد امرئ القيس الخ . الأساس : وفي ذلك عبرة لذي حجر وهو اللب . وهذا حجر عليك حرام . وحجر عليه القاضي حجراً . و (عوذ بالله منك وحجر) . وأعوذ بك من الشيطان . المخصص . ابن السكيت : عوذ بالله منك ، أي أعوذ بالله منك وأنشد البيت . تقول العرب عند الأمر تنكره (حجراً له) أي دفعاً وهو استعاذة من الأمر . والعوذ ما ليذ به من كل شيء .

(٢) القاموس : اليحبور طائر أو ذكر الحبارى . واليحابر جمعه .

التهذيب : وقال خداش بن زهير :

وان كلاباً لا كلاب لأهلها وقد جعلت كعب تكون يحابرا

التاج : ويحابر كيقاتل مضارع قاتل . ابن مالك بن ادد ، أو مراد القبيلة المشهورة . ثم سميت القبيلة يحابر قال الشاعر :

وقد أمنني بعـد ذاك يحابر بما كنت أغشى المنديات يحابرا

(٣) الأساس : بدا رعن الجبل ورعانه وهو أنف شاخص منه وبتصغيره سمي الحصن الذي قيل للملك : ذو رعين . القاموس : والرعن أنف يتقدم الجبل جمعه رعون ورعان . والجبل الطويل ذو رعين كزبير ملك حمير . ورعين حصن له أو جبل فيه حصن ومخلاف آخر باليمن .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرثد – نرى انه اشتق من الرثد · والرثد وضع المتاع بعضه على بعض · ويقال تركت فلاناً مرثداً يريد ناضداً متاعه ما تحمل بعدُ (١) ·

بُريد – اشتق من البرد · ويصلح أن يكون تصغير أبرد كما تقول : أزرق وزريق · ومن البرد · وأبرد وبُريد أخوان من بني رياح أحدهما الشاعر ·

جشيش – يكون من الَجش ومن الُجش وهو مكان مرتفع فيه غلظ نحو النجفة · وقال جريم بن سياب للنابغة الذبياني :

اضطرك الحرز من ليلى الى برد   تختاره معقلاً من جش أعيار (٢)

وداعة – اشتق من الثوب بودَّعُ به (٣) ·

---

(١) الأساس : رثدت المتاع نضدته ومتاع رثيد ورثد · القاموس : رثد المتاع نضده كارتثده فهو رثيد ومرثود ورثد محركة · والرثد بالكسر الجماعة · وكمسكن الرجل الكريم والأسد · واسم · وملك لليمن · وتركتهم مرتثدين ما تحملوا بعد أي ناضدين متاعهم ·

(٢) القاموس : جشه دقه كأجشه · وبالعصا ضربه · والمكان كنسه · والبئر نقاها · والباكي دمعه أمراه والجشيش السويق · وحنطة تطحن جليلاً فتجعل في قدر ويلقى فيها لحم أو تمر فيطبخ · وكأمير اسم وزبير ابن الديلمي ممن أعان على قتل الأسود العنسي وابن مالك في تميم · وابن مُر في مذحج وابن عوف في كنانة · والَجشُ الموضع الخشن الحجارة وجَش أعيار موضع أو ماء ملح باكناف شربة ·

(٣) الأساس : ودع الثوب توديعاً وتودعه صانه في الميدع وهو الصوان ويسمى بوداعة مخلاف ورجال · اللسان : ووداعة قبيلة اما أن تكون من همدان واما أن تكون همدان منها · القاموس : والميدع والميدعة والميداعة بالكسر الثوب المبتذل جمع موادع ووداعة مخلاف باليمن · وابن جذام او حرام وابن أبي زيد ووداعة بن ابي وداعة السهمي صحابيون ·

قحافة — اشتق من القحف • والقحف أخذك كل ما بقي من الصحفة • يقال : اقتحف كل شيء في الاناء [١] •

شجنة — شعبة من الشيء [٢] •

رؤاس — اشتق من الرأس • يقال : رجل رُؤاس وكُباس عظيم الرأس أيضاً [٣] •

رزام — يصلح أن يكون من شيئين من رزم يرزم بالأرض فلا يقوم • ومن ارزام الناقة • ويصلح في جمع الشيئين كما في لقمة من خبز ولحم أو تمر وأقط • أو سمن وتمر • ويقالُ : تركتُ فلاناً يرزم بين طعام كذا وكذا وهو أن يجمع بينهما في لقمة • قال الراعي :

(١) القاموس : القحف بالكسر العظم فوق الدماغ وما انفلق من الجمجمة فبان • ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء جمع أقحاف وقحوف وقحيفة • والقدح أو الفلقة من القصعة اذا انثلمت • وإناء من خشب نحو قِحف الرأس كأنه نصف قدح • وبنو قحافة بطن من خثعم • وأبو قحافة عثمان بن عامر صحابي وان الصدّيق رضي الله عنهما •

(٢) القاموس : الشجن محركة الهم والحزن والغصن المشتبك • والشعبة من كل شيء كالشجنة مثلثة والمتداخلة الخلق من النوق • والحاجة حيث كانت جمع شجون • وشجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن زيد مناة • والحديث ذو شجون فنون وأغراض •

(٣) القاموس : وبنو رؤاس حي • منهم أبو دُؤاد ، ووكيع ، وحميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسيون • والرؤاسي العظيم الرأس • وفيه في مادة (كبس) وكغراب العظيم الرأس ومن يكبس رأسه في ثيابه وينام • وابن جعفر ابن ثعلبة ، وعلي بن قسم بن كُباس محدث •

كلي الحمض بعد المقحمين ورازمي الى قابل ثم اعذري بعد قابل

يقول : كلي الحمض واخلطيه بشيء آخر من الشجر (١) .

حريش — يصلح أن يكون من الخشنة . يقال : أفعى حرشاء اذا كانت خشنة المس . ودرهم أحرش اذا كان لم تلينه الأيدي . ويصلح أن يكون من البعير يضرب فيبقى به أثر الضرب . فيقال : به حراش . وبعير محروش وحريش مثل قتيل ومقتول . ويصلح أن يكون من حرش الضب . يقال : ضب محروش وحريش (٢) .

---

(١) المخصص : المرازمة كالمعاقبة . وكل خاط بين شيئين في مأكل مرازمة . الأساس : عنده رزمة من الثياب وهي ما شد منها في ثوب واحد . وجاءوا بالسياط رزماً وبالعصي حزماً . وهي من رزمت الشيء اذا جمعته . وفلان يرازم بين المطاعم يخلط بينها فيأكل خبزاً مع لحم ، وأقطاً مع تمر . وقيل : هو ان يناوب بينها فيتناول مرة لحماً ، ومرة لبناً ، ومرة حاراً ، ومارة بارداً . والابل ترازم بين الحمض والخلة (الحمض ماملح وأمر من النبات والخلة ماحلا) ، تناوب بينهما . وبعد ايراده بيت الراعي عقبه بقوله : أي بعد الذين أقحمتهم السنة الى الأمصار . القاموس . والمرازمة في الطعام المعاقبة بأن يأكل يوماً لحماً ، ويوماً عسلاً ، ويوماً لبناً ونحوه لا يداوم على شيء . وأن يخلط الأكل بالشكر ، واللقم بالحمد ، أو أكل اللين واليابس . والحلو والحامض . والجشب والمأدوم . وبكل فسر قول عمر (رضي الله عنه) : اذا أكلتم فرازموا . ورزام ككتاب الرجل الشديد والصعب . وابن مالك بن حنظلة ابو حي من تميم .

(٢) الأساس : حرشت بين القوم . وفلان من عادية التحريش . والضب أحرش أي خشن الجلد . ودينار أحرش فيه خشونة الجدة كقولهم : درع قضاء . وأعطاني فلان دنانير حرشا . ونقبة حرشاء لم تطل بالهناء . القاموس : بعد —

حاشد — يقال للرجل اذا كان يبذل ماعنده من مال : لقد حشد [١] .

غاضرة — يصلح أن يكون من الغضارة غضارة العيش والبهجة . ومن العطف أيضاً غضَر يغضِر اذا هو عطف قال ابن احمر :

تواعدن ان لا وعي عن «فرج راكس» فرحن ولم يغضرن عن ذاك مغضرا

أي ما عطفن ولا نصرن . ويقال : حفر بئره في غضراء منكرة اذا أنبط في طينة حرّة تضرب الى الخضرة . وأباد الله غضراءه وخضراءه أي أباد الله خصبه وخيره [٢] .

— ذكر المادة ومتفرعاتها . والحريش دُويبة قدر الاصبع بأرجل كثيرة . أو هي دخّال الاذن . وابن هلال القريعي الشاعر . وابن كعب في قيس . وابن جذيمة في الأزد . وابن عبد الله في كلب الى غيرهم ممن سموا بهذا الحرف .

(١) القاموس : حشد يحشِد ويحشُد جمع . والزرع نبت كله . والقوم خفّوا في التعاون او دُعوا فأجابوا مسرعين واجتمعوا لأمرٍ واحد كأحشدوا واحتشدوا وتحاشدوا . والناقة حفلت اللبن في ضرعها . والحشْد ويحرك الجماعة . وككتف من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة .

الأساس : حشد القوم واحتشدوا : اجتمعوا وخفوا في التعاون . واحتشدوا وتحشدوا وتحاشدوا على الأمر اجتمعوا عليه متعاونين . وعنده حشد من الناس . ورجل محشود محفود مجتمع عليه مخدوم . واحتشدت لفلان في كذا أعددت له . واحتشد لنا في الضيافة اذا اجتهد وبذل وسعه . واحتشد للضيافة واحتفل لها . وفلان حافل حاشد مجتهد في خدمته وضيافته وسعيه . قال :

والحاشدون على قِرى الأضياف

هذا . وسُمّي حيٌّ بحاشد .

(٢) الأساس : بنو فلان مغضورون ومغاضير اذا كانوا في غضارة عيش وهوطيبه ونضرته وقد غضرهم الله . وانبط بئره في غضراء أي في طينة طيبة حرة . —

حرثان — اشتق من حرث الزرع . أو من حرث الدابة وهو أن تركب حتى يذهب لحمها وتجهد[١] .

هوازن — جمع هوزن . وهوزن حي من اليمن ويقال لهم : هوزن . وأبو عامر الهوزني منهم[٢] .

(يتبع) سليمان ظاهر

— وأباد الله غضراءهم وخضراءهم أي طينهم وشجرتهم التي منها تفرعوا اه . وفي تهذيب الألفاظ (لا بد) بدل لا وعي وكلاهما صحيح لأن معنى لا وعي لا بد . وابن أحمر هو عمرو بن أحمر الباهلي من شعراء الحماسة وكان من شعراء الجاهلية وأدرك الاسلام فأسلم وغزا مغازي الروم وأصيب باحدى عينيه ثم نزل الشام وتوفي في زمن عثمان . وعده الجمحي في طبقاته من الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين : وفرج راكس موضع معروف

القاموس : وغاضرة قبيلة من أسد . وحي من صعصعة . وتسمى أرض طف كربلاء حيث قتل الحسين بن علي عليه السلام الغاضرية ولعلها سميت بذلك لنزول حي غاضرة فيها .

(١) المختار : الحرث كسب المال وجمعه احراث[١] وبابه نصر . وفي الحديث (احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً) قلت : تمام الحديث (واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) كذا نقله الفارابي في الديوان . والحرث أيضاً الزرع اه . ويقال : احرث القرآن أي ادرسه . قال الأزهري : والحرث تفتيش الكتاب وتدبره . القاموس : وحرثان بالضم اسم . وأورد أسماء طائفة كبيرة ممن اسموا بمشتقات هذا الحرف .

(٢) القاموس : الهوزن كجوهر النغار . وطائر . وأبو بطن . وهوازن قبيلة .

(١) المجمع : قول المختار (وجمعه أحراث) كلمة أحراث هنا زائدة، أما قوله (وجمعه) فهو معطوف على كسب عطف تفسير .

كتاب الفنون لابن عقيل

أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري الواعظ الفقيه الأصولي المقرئ الحنبلي كان من أعلام الاسلام ونوابغه في القرن الخامس للهجرة ، وقد أدرك القرن السادس . ولد ببغداد سنة « ٤٣١ » ونشأ فيها نشأة المتعلمين ، المتسمين بخدمة الدين ، وقد ذكر هو شيوخه ، كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ج ١ ص ١٧١ — ٢ » وفيهم كثرة ، تشعر بشيء من الافتخار نزا في نفسه عند ذكره لهم ، وهو افتخار شريف الا أنه يُرْبِكُ الباحث عن ذوي الآثار الحسنة في ثقافته الدينية وثقافته الأدبية من شيوخه . هذا الى أن ابن رجب ذكرهم بكناهم وأن اللذين قاما على نشر ذيل الطبقات « المستشرق الفاضل هنري لاووست الفرنسي الباذل مجهوده في نشر الثقافة الحنبلية » ، و « الدكتور الأديب سامي الدهان » لم يستطيعا أن يردّا الكنى الى أسمائها ، ولكنهما خرجا من عهدة النشر العلمي بأن وضعا فهرستين أحدهما « للآباء » والآخر « للأبناء » فضلاً عن فهرست الأسماء وفهرست الأنساب ، فان لم يرض قارئ الكتاب بذلك فليرضخ رأسه به ، فلا يكلف الله نفساً الا وسعها ، ولقد وقفت همامها في ذلك عند الاحالة على اختلاف النقول والمنقول ، ولقد جاء في سيرته « ص ١٧٣ » ان شيخه في علم الأصول « أبو الوليد » وهو في فهرست الكنى « ابو الوليد » أيضاً . وأصبح شيخه هذا في ص ١٧٤ ، ص ١٩٠ » « ابن الوليد » وهو في فهرست الأبناء « ابن الوليد » أيضاً . ونقدنا لنشر هذا الكتاب ، سيظهر في مجلة المجمع العلمي العراقي بشكر كثير ومؤاخذات كثيرة .

والحقيقة أن الشيخ الذي درس ابن عقيل عليه علم الكلام هو ابن الوليد أبو علي محمد بن احمد الكرخي المعتزلي المتفلسف المتوفى سنة « ٤٧٨ » المدفون في الشونيزية « مقبرة الشيخ جنيد » بالجانب الغربي من بغداد [١] .

وكانت وفاة العلامة ابن عقيل في جمادى الآخرة سنة « ٥١٣ » ودفن في دكة الامام احمد بن حنبل في الشمال الغربي من الاعظمية . وترجمته مشهورة معروفة في أكثر كتب التاريخ التي ألفت بعد وفاته كالمنتظم لأبي الفرج بن الجوزي ومرآة الزمان لسبطه ، وتاريخ الاسلام للذهبي ، وطبقات القراء له أيضاً ، وغاية النهاية لشمس الدين الجزري ، وشذرات الذهب فضلاً عن ذيل الطبقات لابن رجب ، قال الذهبي : « تفقه على أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء وأخذ علم الكلام عن أبي علي بن الوليد وأبي القاسم ابن التبان ومن ثم حصلت فيه شائبة تجهم واعتزال وانحراف عن السنة (كذا) وكان إماماً مبرزاً متبحراً في العلوم ، يتوقد ذكاءً ، وكان أنظر أهل زمانه . قال أبو طاهر السلفي : ما رأت عيناي مثله ، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه وبلاغته وحسن ايراده وقوة حجته . وقد سقت جملة من أخباره في تاريخي الكبير [٢] » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) ابن الجوزي في المنتظم « ج ٨ ص ٢٣٥ ، ٢٤٨ » و « ج ٩ ص ٢٠ » وابن الأثير في « الكامل حوادث سنة ٤٧٨ » والقفطي في « المحمدون من الشعراء » « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ الورقة ١٠ » والشمس الذهبي في تاريخ تاريخ الاسلام « نسخة المتحف البريطانية (٥٠١٥٠) الورقة ١٦٤ » وذكر القفطي في ترجمة يحيى بن عيسى بن جزلة الحكيم الطبيب من تاريخ الحكماء وابن خلكان في ترجمته أيضاً من الوفيات ، وابن العبري فيها من مختصر الدول أن يحيى ابن جزلة كان نصرانياً فلازم ابن الوليد المذكور اقراءة المنطق عليه ، فحسن له الاسلام ودعاه اليه وذكر له الدلائل الواضحة حتى استجاب له وأسلم وصنف رسالة في الرد على أهل دينه الأول ، ووقف كتبه قبل موته على تربة الامام ابي حنيفة النعمان ومدرسته .

(٢) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٨٤ الورقه ١٣٩ » .

وقد ألف ابن عقيل كتباً جليلةً منها كتاب « الفنون » وكتاب « كفاية المفتي » في المذهب الحنبلي ، قال سبط ابن الجوزي : « وكتاب الفنون وهو مائتا مجلدة ، جمعه طول عمره واختصر منه جدي [ابوالفرج] عشر مجلدات ، فرّقها في تصانيفه ، وقد طالعت منه في بغداد في وقف المأمونية [1] نحواً من سبعين ، وفيه حكايات ومناظرات وغرائب وعجائب وأشعار » [2] . ولم يصرّح ابن الجوزي بالاختصار الذي أشار اليه سبطه بل قال : « وجمع كتابه المسمى بالفنون مناظر لخواطره وواقعاته ، ومن تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل [3] » . وقال الذهبي في الكتاب الذي أشرنا اليه ونقلنا منه « صاحب كتاب الفنون الذي بلغ أربعمائة وسبعين مجلداً » .

وقال ابن رجب : « ولابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلوم وأكبر تصانيفه كتاب الفنون وهو كتاب كبير جداً ، فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والشعر والتاريخ والحكايات ، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له ، وخواطرُه ونتائج فكره قيّدها فيه ، قال ابن الجوزي : وهذا الكتاب مائتا مجلدة ، وقع لي منه نحو من مائة وخمسين مجلدة ، وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره : قال لي أبو البقاء اللغوي [العكبري] سمعت الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول : وقفتُ على السفر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون . وقال الحافظ الذهبي في تاريخه : لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، حدثني من رأى المجلد الفلاني بعد الأربعمائة ، قلت : وأخبرني

(١) المأمونية هي محلة عقد القشل والهيتاويين وصبابيغ الآل الحالية في شرقي بغداد ، ووقفها هو خزانة الكتب التي انشأتها السيدة زمرد خاتون الشافعية زوج الخليفة المستضيء بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله في رباطها « تكيتهـا » بالمحلة المذكورة ، وقد زال الرباط وزالت الخزانة من الوجود .

(٢) مرآة الزمان « ج ٨ ص ٨٤ » من طبعة حيدر أباد الدكن .

(٣) المنتظم « ج ٩ ص ٢١٤ » .

عمر[1] بن علي القزويني ببغداد قال: سمعت بعض مشايخنا يقول هو ثمانمائة مجلدة[2]».

هذا خبر كتاب «الفنون» الذي وسمنا مقالتنا باسمه، وهذا وصفه، ولكن خزائن الكتب التي اطلعنا على أثباتها ليست فيها أجزاء من هذا الكتاب، في ظاهر تسجيلها، فهل ضاع مع جملة من الكتب الاسلامية العظيمة؟

إن حاجي خليفة لم يذكر هذا الكتاب في «كشف الظنون» وهو لكبره وكثرة مجلداته كان صعباً اقتناؤه وانتساخه، والصعوبة من حيث العمل والنفقة، على أن العلماء ومن كبارهم أبو الفرج بن الجوزي اختاروا منه واختصروا وانتخبوا واستفادوا. وكثيراً ما رأيناهم ينقلون في كتبهم من ذلك الكتاب[3] أو يقولون «قال ابن عقيل» في الأمور العجيبة، ولكن أين هذه النقول من «سبعين وأربعمائة مجلدة»؟

نحن لا نظنّ أن الكتاب قد استهلكه النقل أو زال من الوجود بدلالة أننا عثرنا على جزء منه، في دار الكتب الوطنية بباريس ولعل جزءاً آخر في خزانة أحمد باشا تيمور بدار الكتب المصرية، وان لم يوسما بأنهما من أجزاء كتاب الفنون ومجلداته. فأما جزء دار الكتب الوطنية بباريس فقد فهرسه مؤلف فهرستها في الرقم «٧٨٧» من العربيات بالاسم الذي زوّره عليه أحد المزوّرين وهو «كشف الغمة في المسائل المختلفة في الأربع مذاهب. (كذا) للامام المحقق الشعراني». وفي الحق أن الكتاب لا يقتصر على المسائل المختلفة في المذاهب الأربعة فتصح عليه هذه التزويرة الكبيرة، بل يحتوي على ما ليس له صلة

---

(١) هو الشيخ سراج الدين الفقيه الشافعي المدفون في جامع محلة سراج الدين بشرقي بغداد «م: ٧٥»..

(٢) ذيل طبقات الحنابلة «ج ١ ص ١٨٨».

(٣) كما فعل ابن النجار في تاريخه في ترجمة عبد الملك الجويني قال «قرات في كتاب الفنون لأبي الوفاء علي بن عقيل.» وفي ترجمة ابن المؤلف «عقيل بن علي بن عقيل» ونقل عنه غير ذلك.

بالدين أصلاً ، كما سنذكره منه وما سنشير اليه بذكر اسمه أو وسمه ، ثم إن الشعراني وهو عبد الوهاب بن أحمد المتصوف المشهور ، توفي سنة «٩٧٣ هـ» ، وهذا الكتاب قد جاء في آخره ، في الورقة «٢٦٧» ما نصه : « والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلم • وقع الفراغ منه ضحوة نهار يوم الخميس ثامن عشر شوال سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، كاتبه العفيف بن المبارك ابن الحسين بن محمود [1] رحمه الله من دعا له بالعفو ولوالديه بالمغفرة وهو حسبي ونعم الوكيل » ، فكيف تصحُّ نسبة كتاب منسوخ سنة «٥٣٤ هـ» الى عالم توفي سنة «٩٧٣» ؟ هذا هو الذي حدانا على تفحصه وتقصي أمره والبحث عن مؤلفه ، فألفينا أنه مجلدة من مجلدات كتاب «الفنون» لأبي الوفاء بن عقيل المذكور بعد التأمل الرشيد والتفكير المديد •

وقد استدللنا على ذلك بعدة أمور :

«أولها» : أن أخبار الكتاب وحوادثه جرت في عصر ابن عقيل •

و «الثاني» : أن مضامين الكتاب من الأنواع التي أشاروا اليها في وصف كتاب الفنون بالتحقيق والتأكيد من موعظة ومناظرة واستفتاء وخبر طريف وشعر حسن •

و «الثالث» : أن الرجال المذكورين فيه كان لابن عقيل اتصال بهم لا شك فيه ، ولا سيما اتصال الدراسة واتصال الاستعانة ، كما جاء في الورقة (١٨) «أخبرنا شيخنا القاضي الامام ابو يعلى محمد بن الحسين ابن عقيل في الفقه الحنبلي» ، كما ألمعنا اليه ، كما أنه شيخ غيره فيه •

(١) هنا كانت كلمة نسبه وقد محاها المزوّر أو غيره زيادة في التعمية : وهو أبو محمد عفيف بن المبارك بن الحسين بن محمود الخياط الوراق من أهل باب الأزج ببغداد «محلة باب الشيخ ورأس الساقية» . كان صهر الشيخ الزاهد عبد القادر الجيلي الحنبلي ، وكان يورّق للناس توريقاً قليل الضبط بخطه الحسن وسمع الحديث ، توفي سنة «٥٧٥» كما في تاريخ ابن النجار (في باب العين) •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

و « الرابع » : أن مؤلفه حنبلي ولا يذكر اسمه في المناظرة وانما يقول : « قال الحنبلي » تواضعاً وتأدباً .

و « الخامس » : أن مؤلف الكتاب من المحلة الظفرية[1] ببغداد ، بدلالة ذكره لها كما في الورقة « ٣٢ » ونصه : « وجرى بمجلسنا بالظفرية مسألة آلة اللهو هل يجب ضمان أحراقها ؟ » وفيها الورقة « ١٢٠ » قال : « جرى بمجلس الظفرية مسألة المسلم والأقارب قبل قسمة الميراث » . وهذا لا ينفي أنه سكن أو وعظ في غيرها .

و « السادس » : أن المؤلف نقل من كلام المعتزلة ، وخصوصاً من كلام شيخه ابن التبان المقدم ذكره وان لم يشر الى تلمذته عليه ، فقال في الورقة (٨٢) : استدل بعض أصحاب الحديث ... فأجابه شيخ معتزلي مقدم عليهم بالجانب الغربي يعرف بابن التبان في الكرخ بمجلس عقده ببعض دورها[2] » .

و « السابع » : أنه صرّح بمعونة أبي منصور عبد الملك بن يوسف الحنبلي السري له ، كما في الورقة « ٢٣٥ » من الكتاب ، وهذا السري من الذين يذكرون في ترجمة ابن عقيل من كتب التاريخ ، كما في المنتظم لابن الجوزي قال : « وأقبل عليّ أبو منصور بن يوسف فحظيت منه بأكثر من حظوة وقدّمني في الفتاوى مع حضور من هو أسن مني وأجلسني ...[3] » .

و « الثامن » : هو أن كنيته « أبا الوفاء » وردت في هامش الورقة (٨٨) من نسخة باريس القيمة النسخ .

(١) المحلة الظفرية : من محال بغداد الشرقية أيام بني العباس ، وكان حدها من جادة سور الظفر التي دفن حيالها الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي الصوفي الكبير القائم قبره الى اليوم ، فهي بين محلة الفضل وخان اللاوند من الشمال وعزات طويلات والجوبة من الجنوب ، وقد خرب كثير منها .

(٢) وسنذكر ما نقله عن معتزلي في باب الحسن والقبيح من حيث الشرع والعقل .

(٣) المنتظم « ج ٩ ص ٢١٣ » ونقله ابن رجب في ذيل الطبقات « ج ١ ص ١٧٣ » .

والجزء الآخر محفوظ في الخزانة التيمورية كما ذكرنا آنفاً، وقد كتب عليه «كتاب الجدل في الأصول للعلامة علي بن عقيل البغدادي الحنبلي» وهو مخطوط سنة «٥٦٤»[١] . وما هو عندي إلا مجلدة من كتاب الفنون كما أشرت اليه آنفاً .

[مقتبسات من كتاب الفنون]

قال أبو الوفاء علي بن عقيل في تقديم المجلدة المحفوظة في دار الكتب الوطنية بباريس برقم «٧٨٧» من العربيات :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم ، أما بعد فان خير ما قطع به الوقت ، وشغلت به النفس ، فتقرّب به الى الرب — جلت عظمته — طلب علم أخرج من ظلمة الجهل الى أنوار الشرع ، وأطلع به على عاقبة محمودة يعمل لها ، وغائلة مذمومة يتجنب ما يوصل اليها وليس ذلك إلا العلم الذي يُصلح الاعتقاد ويخلصه من الأهواء ويصلح الأعمال ويصفّيها من الأدواء وهما علمان :

علم الأصول ومبناه على التأمل والاعتبار ، وعلم الفقه ومبناه استخراج معاني الألفاظ الشرعية وأخذ الأحكام من المنطوق به للمسكوت عنه ، وذلك الذي شغلت به نفسي ، وقطعت به وقتي ، فما أزال أعلّق ما أستفيده من ألفاظ العلماء ، ومن بطون الصحائف ومن صيد الخواطر التي تنثوها[٢] ، المناظرات والمقابسات

(١) ذكرى احمد تيمور باشا « ص ٢٣ » وقد ذكر في فهرست الجامعة العربية للمخطوطات العربية المصورة « ص ٢٥ » جزء في الأصول صنفه الشيخ أبو الوفا علي ابن عقيل المذكور ، وهو مصور على نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق محفوظة مع كتب الحديث ، مع انه مذكور في الفهرست مع التفسير وعلوم القرآن . وقال للفهرس « وهوى القرآن » فتأمل ذلك .

(٢) غير منقوطة في الأصل ولا تزال تحتاج الى تحقيق او هي « تنثرها » من النثر .

في مجالس العلماء ومجامع الفضلاء طمعاً في أن يعلق بي طرف من الفضل أبعد به عن الجهل ، لعلي أصل الى بعض ما وصل الرجال قبلي (كذا) ولو لم يكن من فائدته عاجلاً إلا تنظيف الوقت عن الاشتغال برعونات الطباع التي تقطع بها أوقات الرعاع ، وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل» . فتأمل هذا التواضع النبيل، والتعليل الجميل للاشتغال بما كان هو في سبيله .

شذرة وعطرة «و ١»

ما أشدّ شؤم المعاصي ؟ بينا يسمع قول الله للملائكة : اسجدوا لآدم حتى سُمِعَ النداء : اهبطوا منها جميعاً ، بينا يرفل في حلل السندس والاستبرق حتى طفق يخصف على عورته من الورق . إذا أردت أن تتلمح القدر السابق فانظر الى قوله السابق : «إني جاعل في الأرض خليفة . خليفة في الأرض ما يصنع في الجنة ؟ ساقته الكلمة السابقة والعلم السابق الى المستقر «ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين» .

التزويج بأقل من المهر «و ٧»

جرى بمجلس نور الهدى [1] ذي الشرفين الزينبي مسألة «الأب» اذا زوّج

(١) هو ابو طالب الحسين بن محمد بن عبد الوهاب العباسي الزينبي ، نسبة الى جدته الكبرى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس من فضليات العباسيات وراويات الحديث النبوي وهذا معنى تلقيبه بذي الشرفين ، تفقه ابو طالب الزينبي على قاضي قضاة الدولة العباسية أبي عبد الله محمد الدامغاني الحنفية ، جدّ الأسرة الدامغانية ببغداد ، وعلى ابي بكر الرازي ، صاحب القدوري ، وبرع في الفقه الحنفي ، ودرّس في مدرسة الامام ابي حنيفة خمسين سنة ، وولي نقابة النقباء للعباسيين والطالبيين ثم استعفى منها ، ولقب بنور الهدى ، نظام الحضرتين العباسية والسلجوقية ، وكان زاهداً عابداً ما حمل ديناراً ولا ادّخره ، توفي سنة «٥١٢» عن «٩٢» سنة ودفن عند الامام ابي حنيفة . «المنتظم ج ١ ص ٢٠١» و «الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ١ ص ٢١٩» وقد تصحف لقبه في الجواهر المضية الى «نظام ن الحضر» وانما هو «نظام الحضرتين» .

ابنتيه بدون مَهر مثلها ، فاستدلَّ فيها حنبلي بأن النكاح ليس المال فيه أصليًا في القصد بل تابع ، والأصل إنما هو طلب الكفاءة ، والحظ الأكبر ذلك . والأب هو الغاية في الاشفاق ، فلا تذهب نحوه تهمة ، فاذا نقصها من الصداق عُلم أنه دفع ذلك وسدَّ الخلل فيه بزيادة في الجمال والكمال الذي تدوم به العشرة وتصفو به الألفة ، من أخلاق تنضمّ الى كرم الأصل وشرف النسب فلا يُغيرها ولا يؤذيها ولا ينقصها حقًا من حقوقها ...

شجاعة عبد الله بن الزبير « و ١٤ »

روى ابن دُريد قال أخبرنا السكن بن سعد الجرموزي قال أخبرنا علي بن نصر الجهضمي عن أشياخ من الأزد ممن أدرك مَن شهد الجمل قال : لما رجع ابن الزبير من البصرة الى المدينة مرَّ بمنازل بني مُجاشع من بني تميم ليلاً ، فبينا هو يسير ومعه مولى يقال له «زيد» إذ سمع صهيل البسّام فرس الزبير . فقال له مولاه : أشهد بالله إنه لصهيل البسام . وكان ابن جرموز قد أخذه . فقال له ابن الزبير : ويحك والله إنه لصهيل الأشقر ، والله لا أرجع الليلة حتى آخذه أو تعوقني دونه العوائق . فقال له مولاه : أذكرك الله لما تركته وانطلقت فاني أخاف أن تقتل ، والله ما نجوت من الموت إلا بما بقي لك من أجلك وقد عاينته عياناً . فقال عبد الله لمولاه : اثبت لي مكانك وهمُّك ما بينك وبين نصف الليل فان جئتك فذاك وإلا فانطلق وانعَني الى أسماء . ثم ترجل واشتمل بسيفه وصمَدَ لصوت الفرس ، فعرض له رجل من الحيِّ في جنح الليل فضربه ابن الزبير فقتله حتى انتهى الى الفرس فأخذه من رباطه وجاء به يقوده حتى انتهى الى مولاه فانطلقا جميعًا ، فقال ابن الزبير — رضي الله عنه — في ذاك :

يذكّر في الزبير صهيلُ طِرْفٍ　　تناوله ابن جرموز بغدرِ
فقلت لصاحبي أرودْ قليلاً　　لأقضي حاجتي ووفاء نذري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فان أرجع فذاك رجوعُ مُنجٍ ... وإلا فانني أو بج بسرّي
فجئتُ أقودُهُ والنجمُ عالٍ ... وما همي من أبي بكر بنكرِ
وقد كان الزبير فتى مَعدٍّ ... إذا فزعوا وفارس حي فهرِ
وأجودَهم على العلاّت كفّاً ... وأعودَهم على عُسرٍ بيسرِ
وأقومَهم بأمر الحقّ فيهم ... وأتركَهم لشبهة كلّ أمرِ
وقالوا قد هوت لأبيك أمٌّ ... فقلتُ لهم ألا لا لست أدري
أرى أمرين في عُرفٍ ونكرٍ ... ولستُ بعاذرٍ إلا بعُذْرِ
فان تكن المنيـة أقصدَتْهُ ... فكلُّ فتىً إلى الغايات يجري

أخلاق خالد بن برمك «و ١٢، ١٣»

... ركب أبو عبيد الله كاتب المهدي ... فعرض له في طريقه مُعاذ ابن مسلم وخالد بن برمك ، فترجّل له مُعاذ ، ولم يفعل ذلك خالد ، فحقدها أبو عبيد الله في نفسه ، فلما نزل أقبل على معاذ وأكرمه ، وجفا خالداً . فلما سخط المهدي على أبي عبيد الله قعد عنه مُعاذ وأتاه خالد بن برمك فبذل له مالاً جليلاً وأعانه بنفسه ورساله وجاهه كل المعونة ، ولما رأى خالد أبا عبيد الله قد عجب من ذلك مع ما فعل من جفائه قال : «يا أبا عبيد الله إن النفس التي منعتني النزول لك ذلك اليوم هي التي بعثتني على ما ترى من وفائي لك في هذا الوقت وإن النفس التي بعثت مُعاذاً على نزوله لك هي التي أقعدته عنك الآن . قال حنبلي [يعني أبو الوفاء بن عقيل نفسه] : هذه والله المكارم التي عاش الناس في بحبوحتها قديماً وعدمناها في أواخر أعمارنا لموت الكرماء ، حاشى ظهير الدولة [1] خازن إمامنا .

---

(1) ذكر في الورقة «٧٢» أنه يلقب أيضاً «مجد الدين» فلعله مجد الدين أبو المعالي هبة الله بن محمد المعروف بابن المطلب البغدادي ، صاحب ديوان الزمام أيام الخليفة المقتدي بأمر الله، والخليفة المستظهر بالله ، وقد قلده هذا الأخير الوزارة وتوفي سنة «٥٠٣» كما في تلخيص معجم الألقاب .

شجاعة علي بن أبي طالب وفضله (و ١٣ ، ١٤)

قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام - لِمَ لا تلبس الجديد وأنت تقدر عليه ؟ قال : هو أخشع لقلبي . وقيل له : لِمَ لا تجعل لدرعك ظهراً ؟ قال : لأني لم أدخل فأحدث نفسي بالفرار والتولي .

روى الأنباري قال أخبرني أبي قال حدثنا محمد بن عمران الضبي قال : لما كثر أصحاب الحديث على شريك وقالوا له : « يا أبا عبد الله حدثنا حديث رسول الله (ﷺ) : تقتل عماراً الفئة الباغية » غضب وقال : أترون فخراً لعلي أن يقتل عمارٌ معه ؟ إنما الفخر لعمار في أن يقتل مع علي - رضي الله عنهما - .

الصلاة على جنازة الرجل والمرأة معاً « ١٣ »

كانت لأم كلثوم بنت علي - عليه السلام - ثلاثة أشياء : زوّجها أبوها من عمر - رضي الله عنه - ولم يستأمرها . واستشهد عمر - رضي الله عنه - فلم ينقلها أبوها من منزله الليلة التي أصيب فيها ، وقال : الدار للمسلمين وليست لعمر ولو كانت ملكاً له لنقلتها . وتوفيت وابنها زيد بن عمر في ليلة ، فصلى عليها ابن عمر فجعل الابن مما يليه وجعلها مما وراء الابن . وعُرف بذلك كيف السنّة في الصلاة على المرأة إذا اتفق معها رجل .

شريف (١) سخيف

لابن حجاج (٢) في شريف آذاه :

(١) الشريف يُراد به يومئذ أحد العلويين أو أحد العباسيين كالشريف الرضي والشريف أبي تمام الزينبي ، ولكنه كان على العباسي أشهر ، كما جاء في محاضرات السيوطي .
(٢) الحسين ابن حجاج الشاعر الماجن المشهور ، من أهل القرن الرابع للهجرة ، وديوانه لا يزال مخطوطاً وفيه فحش من القول كثير ، وفي اليتيمة للثعالبي نماذج من أقلّه فحشاً .

رأيتم قطُّ أحمقَ من شريفٍ ... يصرُّ على أذى رجلٍ سخيفِ ؟
فكان كمثل عطّارٍ تدلى ... فنكّس رأسه جوف الكنيفِ

شعر محمد بن عمر الأنباري « و ١٧ »

قال أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري في ابن بقية الوزير لما صلب (1) :

لم يلحقوا بك عاراً إذ صُلبت بلى ... باؤوا بعارك ثم استرجعوا ندما
وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا ... وأنهم نصبوا من سؤددٍ علما
فاستدركوه وواروا منك طودَ علىً ... بدفنه دفنوا الأفضال والكرما
لئن بليتَ فما تبلى نداك ولا ... يُنسى وكم هالكٍ يُنسى إذا قدُما
تقاسم الخلق حسن الذكر منك كما ... ما زال مالُكَ بين الخلق مقتسما
بقية الجود فينا كنت فانقرضتْ ... فليس نعدم مذ فارقتنا العدما
وكنت لله فينا أنعماً سُلبتْ ... ولو بقيتَ لنا لم نسلب النعما
وكيف ينساك حرٌّ لم يجد عوضاً ... مذ مُتَّ عنك ولا يبكي عليك دما؟!

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

وحشي والراشدان « و ٢٣ »

قال وحشي لما قدمت المدينة وقد وُلي أبو بكر ، سألني كيف قتلت حمزة ؟ فأخبرته . فقال : غيبْ وجهك عني . فكنت أخالفه الطريق فاذا سلك طريقاً سلكتُ طريقاً أخرى حتى توفي ووُلي ابن حنتمة — يعني عمر بن الخطاب — (قال حنبلي : وقوله ابن حنتمة يدلُّ على ما يدلُّ عند العقلاء) فأرسل إليَّ فدعاني فقال : كيف قتلت حمزة ؟ فأخبرته . فقال : لا تسا كنّي في المدينة . فخرجت الى الشام ، فلما ولي أمير المؤمنين معاوية أنزلني داراً وأجرى عليَّ رزقاً من بيت المال ...

(1) أرى أنه قال ذلك لما أنزل من الخشبة المصلوب – كان – هو عليها ، لأن مرثيته في صلبه هي التي قال فيها ابن الأنباري المذكور :

علو في الحياة وفي الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات

من مواعظ ابن عقيل « و ٨٨ »

ما أعجب شأن العارف وأعجب شأن الخلق معه : تبذّل التجار منهم [١] في طلب الأرباح وتعبية الأموال ، ولم يُعابوا ، وتبذّل المجبون والعشاق والمتيّمون في محبة الأشخاص ولم يُلاموا ، وتبذّل قوم في محبة الخيل والطيور والصيد ولم يُعابوا ، وتبذّل قوم في عبادة بارئهم فكثر اللوام والعُذّال واستهجنت منهم الأحوال وقيل فيهم كل مقول ونُسبوا الى كل عظيم من الخطأ ومهول ، وقيل لهم ما لهم عقول ، ومعلوم أن المتبذل في الله لا يُلام عقلاً لأنه ليس فوق إنعامه إنعام ، ولا على إحسانه إحسان ، نعمته تنهال وبرُّه لم يزل ولا يزال ، يمدح على القليل وهو المعطي ، ويرضى باليسير وهو الموفق ، إنك اني قول مختلف ، لا أرى لك ثبات قدم على ندم ولا وجوداً ولا موجوداً ، ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فارجع وأنِبْ ، واستغفر وتُبْ ، فقد رحل إخوانك سابقين وبقيت أنت مع المتخلفين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نوبة روزجار « ١٧٨ »

سئلتُ عن نسوة يغزل بعضهن لبعض يسمّينه « نوبة روزجار » وصفته أن تخرج كل واحدة قطناً تفرّقه عليهن فتحصل مبادلة بالعمل . قلت وبالله التوفيق : يجوز لأن الأعمال لا يدخلها الرّبا فأكثر ما فيه أن يكون غزل واحدة أجود من غزل الأخرى فهو ارتفاق بالأعمال .

تحسين العقل وتقبيحه « و ٩٥ »

حضرنا يوماً بدار الكتب [٢] بشارع ابن أبي عوف فتذاكرنا أمر العقل

(١) أي من الخلق المتقدم ذكرهم .

(٢) هي دار الكتب التي أسسها غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصابي ؛ قال ابو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة « ٤٥٢ هـ » « وفي رجب وقف ابو الحسن محمد بن هلال الصابي داركتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام ونقل اليها —

وتحسينه وتقبيحه ، فقال إنسان يميل الى مذهب أبي الحسن الأشعري : متى يثق العاقل بعقله وقد علم أنه لو قدّر فيما قبن ورود الشرع كيف حكم إيلام الحيوان وهدم بنيتــه لرآه بالعقل قبيحاً ، ولو قدّر إيصال اللذات الى نفسه بتقبيل الملاح من المُردان ولبس الحرير في الشتاء وسماع ما تحيا به الأنفس والقلوب من القيان لرآه حسناً ، إذ فيه تقوية النفس ورفاهية الجسم ورَوْح القلب ونعيم الجسد . فلما جاءت الشرائع لم يقنع بأن يُبيح إيلام الحيوان حتى جعل ذبحه تقرّباً اليه وقرباناً وحرّم أكثر النعيم وجعله بغياً منه وطغياناً ، فتركتْ هذه الأمور العاقلَ لا يحكم بعقله ولا يقبّح قبيحاً ، حكم العقل بقبحه ، وفوّض الأمور الى الشرع .

وكان بالحضرة رجل ينتحل العدل والتوحيد ، فأجابه : هل استدلالك هذا حسن أم قبيح ؟ فان قلت : حسن أو قبيح سألناك عن طريق تحسينه أو تقبيحه فان أجبت بانه العقل كفانا ذلك إبطالاً لما قررتَ ، وإن قلت : علمت ذلك بالشرع قيل لك أين النصّ في كتاب الله وأين سنة رسول الله مما ذكرت ؟ على أنا نبسط الكلام ونفتح عن مجال الجدال حتى لا نضيّق عليك ، فنقول : أظننت أنّ تحسين إيلام الحيوان بعد تقبيحه بالعقل المجرد كونه إيلاماً ؟ كلا ولكن لما ثبت عندنا بأدلة العقول حكمة واضع الشريعة وانه لا يفعل القبيح ولا يشرعه وأنا لو جوّزنا ذلك لانسد علينا باب العلم بصدق السفراء ، لكنا لما سبق لنا العلم بأن الصانع القديم حكيم لا يفعل القبيح ثبت لنا أنه

– ألف كتاب » . وقال سبطه في حوادث السنة المذكورة في مرآة الزمان « وفي رجب وقفت دار الكتب بشارع ابن أبي عوف من غربي بغداد ونقل اليها ألف كتاب وذلك لأن الدار التي وقفها سابور الوزير بين السورين في الكرخ سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة احرقت لما دخل طغرلبك بغداد وتمزقت الكتب ونهب الباقي وحمل أكثرها الى خراسان ودرس العلم . والمكان الذي كانت فيه من حساب الكرخ ورواصفه » . وذكر ابن الفوطي في معجم الألقاب أنه وقف نحواً من أربعمائة مجلد في فنون العلم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يؤبد كذاباً ، فثبت أنه لما أبد بالاعجاز أشخاصاً ، كانوا صادقين . فلما ثبت ذلك جاءت الشريعة بإيلام الحيوان لوجه من وجوه الحكمة والمصلحة ، وليس في العقل تقبيح الايلام على الإطلاق ، بل بط الدَّبلة وألم الفصد والحجامة وشرب الأدوية ، كل ذلك إيلام ، وكذلك الردع عن القبيح بالحدود ، فكل ذلك حسن لما عاد به من صلاح الأجل وحفظ الكل . فالايلام الذي جاءت به الشرائع من هذا القبيل ، فأما من قبيل الايلام الذي وقع لا بحكمة فكلاّ . فسكت الأشعري » .

أنجد بن قيس التميمي « و ٤ »

بعث زياد الى معاوية رجلاً من بني تميم يقال له أنجد بن قيس ، وكان له غناء يوم صفين مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقال له معاوية : أنت القائم في الفتنة علينا والمكثر عدوّنا ؟ فقال أنجد : يا أمير المؤمنين انها كانت فتنة عمياء ، نزا فيها الرضيع وخفَّ الرفيع فاحتدمت وأكلت علينا ثم شربت ، حتى اذا حسرت ظلماؤها وكشف غطاؤها وآل الأمر الى مآله وصرّح الحق عن محضه عرفنا خليفتنا وتركنا فتنتنا ولزمنا عصمتنا ومن يحدث متاباً لم يرد الله به عقاباً . فقرّبه معاوية وأحسن اليه .

مُستَنبحة « ٢١٥ »

ومن مستنبحات العرب قول عبد السلام الكناني :

ومستنبح والليلُ مُرخٍ سدوله　　له رنةٌ تحت الدُجى ونعيقُ
وقد جاده نوء السماك بودْقهِ　　وريحٌ شمالٌ زفزفٌ وبروقُ
دعاني وعرض الدوِّ بيني وبينه　　وفجٌ بعيد الجانبين عميقُ
فقلت له لبيك لبيك إنني　　اليك ورب العالمين مشوقُ

وقلت لعبدي أذكِ نارك معجلاً ... فهذا وقود حاضر وحريقُ
فان يأتنا أو يهده ضوء نارنا ... بليلتنا هاتي فأنتَ عتيقُ
فأثقب ناراً في يفاع محلّق ... وضرّمها ما اسطاع فهي ذلوقُ
ترى شرراً كالقصر منها كأنها ... جمال عليها الزعفران ونوقُ
فأقبل مجهوشاً وقد سلّ جسمه ... فلم يبق إلا أعظم وعروقُ
فقلت له حياك ربك من فتىً ... أنخ فمحلٌّ واسعٌ وصديقُ
وأبوٌ يرى حقَّ الأبوة واجباً ... عليه ومن بعد الحقوق حقوقُ
فأفرخ عنه الروع وارتدَّ لونه ... وسكّنت منه القلبُ وهو خفوقُ

(بغداد) الدكتور مصطفى جواد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدرسة العادلية الكبرى

تقوم برعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف

من دواعي الفخر لمدينة دمشق أن تقوم المدرسة العادلية الكبرى على رعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف ، وأن تكون لها فكرة سامية وهدف عال نحو اللغة العربية ، وهي أهداف لا تختلف بجوهرها عن أهداف المجمع العلمي العربي بدمشق ، بل كان الهدف واحداً منذ احتفل بافتتاحها سنة (٦١٩ هـ) الى يومنا هذا وقد أصبحت مجمعاً علمياً .

أسدل النعيمي حجاباً كثيفاً على هذه الناحية في « تنبيه الطالب » ثم حذا حذوه من اختصر كتابه أو استمد منه ، لأنه ذكر هذه المدرسة مع مدارس الفقهاء الشافعية ولم يشر الى ناحية اللغة العربية . وانما أشار الى ذلك اشارة ضعيفة في باب الترب لجهل الانسان لا ينتبه لهذه الناحية . ولدى استقراء نظام التدريس فيها تبين ان لهذه المدرسة فرعين : فرع للفقه ، وفرع للقراءات واللغة العربية .

وضع أسس هذه المدرسة لدراسة الفقه الشافعي السلطان نور الدين محمود ابن زنكي سنة (٥٦٨) ولم يرتفع من بنائها الا القليل حتى عاجلته المنية [1] وفي سنة (٦١٢) أزال الملك العادل بناء نور الدين وعمل مكانه مدرسة عظيمة للشافعية بعد أن وسع مساحتها ودعيت باسمه [2] . وتوفي الملك العادل سنة (٦١٥) ودفن في قلعة دمشق ولما يكمل بناؤها ، فقام ابنه الملك المعظم بإكمال بناء هذه المدرسة

---

(١) كتاب الروضتين ٢١٤/١ ؛ خطط الشام للأستاذ محمد كردعلي ٨٥/٦ .

(٢) المصدر نفسه ؛ البداية والنهاية ٥٨/١٣ ؛ تنبيه الطالب ٣٥٩/١ .

وجعل لها قبة لدفن أبيه ، ونقل جثته من القلعة اليها سنة (٦١٩) وهي السنة التي تم فيها بناؤها واحتفل بافتتاحها .

يعود الفضل في إتمام هذه المدرسة الى الملك المعظم الذي نفذ مشروع سلفه وأوقف عليها الأوقاف العظيمة . وكان مغرماً باللغة العربية وآدابها فأراد تحقيق أفكاره وميوله في هذه المدرسة التي أصبحت سيدة مدارس دمشق ، ولم يشأ أن يغير ما أنشئت من أجله وأن يهدم مشاريع سلفه فجعلها قسمين : (١) قسم للفقه . (٢) قسم للقراءات والعلوم العربية .

الملك المعظم وولعه التدريس باللغة العربية :

أنجب الملك العادل أخو صلاح الدين ستة عشر ولداً [١] كان في طليعتهم الملك الكامل محمد (ملك مصر) والملك المعظم عيسى (ملك دمشق) والملك الأشرف موسى (ملك الجزيرة وبلاد الأرمن ثم دمشق) ورغماً عما كان عليه أولاده من ثقافة عالية ، ومعرفة غزيرة ، وأدب جم ، ونظم للشعر العربي ، فقد كان الملك المعظم عالم البيت الأيوبي غير منازع ، وحامل راية ثقافتهم ، ومفخر دولتهم على ممر الزمان ، ويقول الأستاذ خليل مردم بك : ان الملك المعظم في بني أيوب كالمأمون في بني العباس [٢] .

ولد المعظم بمصر سنة (٥٧٨) على رأي ابن خلكان [٢] أو سنة (٥٧٦) على رأي سبط ابن الجوزي [٣] ونشأ كبقية الملوك الأيوبيين فتعلم الفروسية ، وادارة البلدان ، وأصول الحرب ، وقيادة الجيوش .

وملكت عليه الروح العلمية والأدبية مشاعره فلم يكن له مطامع في التوسع

---

(١) ابن خلكان ١/٥٠١ المطبعة الأميرية .
(٢) ديوان ابن عنين ، المقدمة ١٣ طبع المجمع العلمي العربي .
(٣) ابن خلكان والنجوم الزاهرة ٦/٢٦٧ طبع دار الكتب المصرية .

الاستيلاء على أراضي غيره بل قنع بمملكته التي كانت تمتد من حدود حمص الى العريش ، فتشمل دمشق وضواحيها ، وبلدان السواحل الاسلامية ، والغور ، وفلسطين ، والقدس ، والكرك ، والشوبك ، وصرخد وجميع بلاد حوران [١] .

يقول ابن الأثير : نفق العلم في سوقه وقصده العلماء من الآفاق فأكرمهم وأجرى عليهم الجرايات الوافرة وقرّبهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم . وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره ، لم يسمع أحد ممن يصحبه منه كلمة سوء [٢] .

ويقول ابن خلكان عنه : إنه كان عاليَ الهمة حازماً ، شجاعاً ، مهيباً ، فاضلاً ، جامعاً شمل أرباب الفضائل ، محباً لهم ، كان يحب الأدب كثيراً ، وله رغبة فيه [٣] .

ويقول أبو المظفر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : الملك المعظم ، العالم الفقيه ، المجاهد في سبيل الله ، النحوي ، اللغوي ، ويطلق عنان القلم في ذكر محاسنه وترجمته في عدة أوراق . ويعلق ابن تغري بردي على ذلك بقوله : « قلت » ويحق له ذلك فان المعظم كان في غاية ما يكون من الكمال في عدة علوم وفنون ، وهو رجل بني أيوب ، وعالمهم بلا مدافعة ، ومحاسنه أشهر من أن تذكر [٤] .

ARCHIVE

هذا بعض ما وصفه به المؤرخون ، ولعل القارئ الكريم يأخذه العجب اذا قلنا له ان ملك دمشق وفلسطين وشرقي الأردن وحوران كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتخطى الطرقات الى دار أستاذه تاج الدين الكندي في جيرون

---

(١) ابن خلكان ١/٥٠١ . الانس الجليل ١/٣٥٥ .

(٢) الكامل ١٢/١٨٣ طبع مصر سنة ١٣٠٣ .

(٣) ابن خلكان المصدر المذكور .

(٤) مرآة الزمان ٨/٤٢٥ . النجوم الزاهرة ٦/٣٦٨ و ٣٦٩ .

(حارة النوفرة اليوم) والكتاب تحت إبطه [١] وربما كان الطلاب لم ينتهوا من درسهم فيسكتون حين يحضر فيقول الملك المعظم لأستاذه: لا والله، انما القراءة بالنوبة فليتموا [٢].

ولعل القارئ يظن ان قراءة الملك المعظم كانت ابتدائية، ولكننا نذكر أسماء الكتب التي قرأها على الكندي وهي: المفصَّل للزمخشري وكان يحفظه غيباً، كتاب سيبويه وشرحه الكبير للسيرافي، وشرحه لابن درستويه، الايضاح لأبي علي الفارسي وكان يحفظه أيضاً، الحجة في القراءات له أيضاً، الحماسة، وحفظ على فخر الدين المسعودي وقرأ عليه الجامع الكبير في الفقه الحنفي، كما سمع مسند الامام احمد على حنبل وابن طبرزد، وسيرة ابن هشام على ابن المحلي بمصر.

وهذه دراسة كأرقى ما يمكن دراسته للغة العربية، والثقافة الاسلامية، ولا نعلم أحداً اليوم يدرس مثل هذه الكتب.

وقد دفعه حبه لتشجيع الإقبال على تعلم النحو أن أعلن أن كل من يحفظ المفصل للزمخشري له مائة دينار وخلعة، واجتمع القاضي ابن خلكان بجماعة كثيرة ممن يحفظه لهذا السبب [٣].

ويقول سبط ابن الجوزي: كان يحب الفقهاء ويحرضهم على الاشتغال بالعلم فيقول: من حفظ نص الجامع الكبير للكرماني أعطيته مئة دينار ومن حفظ الايضاح لأبي علي الفارسي في النحو أعطيته مئتي دينار فحفظ الكتابين جماعة ووفى لهم بما شرطه [٤].

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة، والوافي بالوفيات نقله عنه النعيمي في تنبيه الطالب.
(٢) ذيل الروضتين ٩٨.
(٣) وفيات الأعيان ١/٥٠١.
(٤) مرآة الزمان ٨/٤٢٧.

وأمر أن يجمع له في اللغة كتاب جامع كبير فيه كتاب الصحاح ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب للأزهري ، والجمهرة لابن دريد وغيرهما [١]

وأمر بترتيب مسند الامام أحمد على الأبواب وأن يرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه [٢] . وهذه فكرة لا تخرج الا من دماغ عالم مفكر غيور على اللغة العربية .

ولم يقف تفكيره عند تأليف معجم كبير جامع للغة العربية بل اتجه نحو الترجمة أيضاً فأمر الفتح بن علي البنداري بترجمة الشاهنامه للفردوسي الى اللغة العربية فعربها البنداري فكانت هي الترجمة الوحيدة باللغة العربية [٣] .

وأسند وزارة مملكته الى أشهر شعراء عصره وهو ابن عنين فكان عمله هذا أكبر تكريم للأدب العربي والشعر العربي .

وعطف على العلماء والأدباء عطفاً جعل مملكته تزخر بهم ، وشجع حركة التأليف والمؤلفين فألفت عدة مؤلفات في فنون شتى أهدي أكثرها اليه . فيقول الفتح بن علي بن محمد البنداري في مقدمة كتاب ألفه له : خدمةً لملك اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في جميع سلاطين الأمم ، وصار نظاماً لمحاسن يتزين بأفرادها سائر ملوك العرب والعجم ، مولانا السلطان الملك المعظم ، أبي الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب [٤] .

ولما دخل سيف الدين الآمدي دمشق سنة (٦١٧) أنعم عليه الملك المعظم انعاماً كثيراً ، وأكرمه غاية الاكرام ، وولاه التدريس [٥] . وقد ألف

---

(١) الكامل لابن الأثير ١٢/١٨٣ طبع مصر سنة ١٣٠٣ . والبداية والنهاية ١٣/١٢١ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مقدمة الشاهنامه للدكتور عبد الوهاب عزام .
(٤) دولة آل سلجوق ص (٣) مطبعة الموسوعات .
(٥) عيون الأنباء ٢/١٧٤ .

الآمدي المذكور له كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» وهو يعد من أجل كتب الفقه والتحليل والاستنتاج فقال في مقدمته أنه ألفه : خدمةً لمولانا السلطان الملك المعظم المكرم ، سلطان الأجواد والأمجاد ، أجل عالم ، وأفضل من تمتد اليه أعناق الهمم والعزائم ، ملك أرباب الفضائل ، ناقد خلاص الأفاضل ، باعث أموات الخواطر ، ناشر رفات العلوم الدواثر [1] .

وجاء في عيون الأنباء : ان رشيد الدين الصوري خدم الملك المعظم وكان مكيناً عنده وجيهاً ... ولم يزل في خدمته الى أن توفي المعظم ، وحرر أدوية الترياق الكبير ، وجمعها على ما ينبغي فظهر نفعه ، وعظمت فائدته ، وقد صنع منها شيئاً كثيراً في أيام الملك المعظم [2] . وألف كتاب الأدوية المفردة وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة ، وذكر أيضاً أدوية اطلع على معرفتها لم يذكرها المتقدمون ، وكان يستصحب مصوراً ومعه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها فكان يتوجه رشيد الدين الصوري الى المواضع التي بها النباتات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النباتات فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها .

ثم انه سلك أيضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً ، وذلك انه يري النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه اياه أيضاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك ، ثم يريه اياه أيضاً في وقت ذواه ويبسه فيصوره فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على انحاء ما يمكن أن يراه به في الأرض فيكون تحقيقه له أتم ، ومعرفته له أبين [3] .

(١) الإحكام في أصول الأحكام ص (٣) مطبعة المعارف .
(٢) عيون الأنباء ٢١٦/٢ .
(٣) المصدر المذكور ٢١٩/٢ .

ولا يخفى ما في هذا العمل من عناء وتطلب نفقات واذا لم يكن ذلك برعاية الملك المعظم فمن المتعذر أن يقوم به شخص بنفسه .

مؤلفات الملك المعظم :

ان اشتغاله بسياسة بلاده ومقارعة جيرانه من الدول الأجنبية وغيرها لم يمنعه ان يقوم بعدة مؤلفات عرفنا منها ما يلي : كتاب في العروض ، شرح الجامع الكبير ، ديوان شعره ، كتاب في الرد على الخطيب البغدادي [1] (طبع في مصر عام ١٣٥١) .

ولا يطالع الانسان هذا الكتاب الا وتأخذه هزة الطرب حينما يقع على الجمل الآتية التي يقول فيها ملك دمشق : أنبأنا شيخنا الامام العلامة حجة العرب أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي مشافهة [2] وأخبرنا الشيخ الامام الأوحد احمد بن عمر بن محمد بن قدامة المقدسي بقراءتي عليه بالبيت المقدس في صفر من سنة اثنين وعشرين وستمائة [3] . إذ يرى الملك المعظم يسلك طريق المحدثين في رواية الأخبار بالأسانيد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مؤسساته العلمية :

للمعظم عدة مؤسسات علمية أنشئت لتعزيز العلوم والآداب :

(١) في مدينة القدس بباب الرحمة مدرسة تعرف بالنصرية نسبة للشيخ نصر المقدسي ، ثم عرفت بالغزالية نسبة لأبي حامد الغزالي . ثم أعاد انشاءها المعظم وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً من جملتها إصلاح

(١) النجوم الزاهرة ٢٦٧/٦ ، مرآة الزمان ٤٢٥/٨ .
(٢) ص ١٧٦ .
(٣) ص ١٧٨ .

المنطق لأبي يوسف بن اسحاق بن السكيت . وقد وقفت على كراسة منه بخط ابن الخشاب ، وعلى ظهر الكراسة الوقف ، وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة سنة عشر وست مئة . وقد دثرت الزاوية المذكورة في عصرنا ولم يبق لها نظام وصارت من المهملات [١] .

(٢) مدرسة للحنفية بالقدس عند باب المسجد الأقصى المعروف بباب الدويدارية [٢] .

(٣) وبنى على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة مكاناً يسمى النحوية للاشتغال بعلم العربية ووقف على ذلك أوقافاً حسنة [٣] .

(٤) المدرسة العادلية الكبرى بدمشق وهي الآن (مقر المجمع العلمي العربي) ورغماً عن أنها سميت باسم أبيه فاليه يعود الفضل في أكثر بنائها وإتمام عمارتها .

(٥) المدرسة المعظمية في صالحية دمشق وفيها قبره وقبور أهله وأولاده [٤] وقد زالت معالمها في عصرنا .

وللمعظم أبنية ومصانع كثيرة في فلسطين وخاصة في جبل الطور يطول بنا تعدادها .

وتتلخص ميول الملك المعظم بما يلي :

١ — سعيه لنشر اللغة العربية بوضع جوائز متعددة لمن يحفظ كتبها .

٢ — دعوته لتأليف معجم كبير جامع للغة العربية .

٣ — بذل المال بسخاء للعلماء وتقليدهم الوظائف الكبيرة كالسيف الآمدي ، والرشيد الصوري ، ويعقوب بن سقلاب النصراني .

---

(١) الانس الجليل ٢/٣٨٦ .

(٢) المصدر السابق ١/٣٥٥ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي ، والقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ — تنشيط حركة التأليف في جميع العلوم .

٥ — تنشيط حركة الترجمة .

٦ — تكريمه الأدباء والشعراء بإسناد الوزارة اليهم كابن عنين وفخر الدين الساعاتي .

٧ — إنشاء المدارس للغة العربية ، وهذا مما اختصّ بها المعظم دون سائر من بنى مدارس في مصر والشام .

٨ — إنشاء المكتبات للمطالعة .

وهذه المبادئ التي قام بها الملك المعظم ، تشابه كثيراً المبادئ التي يقوم بها المجمع العلمي العربي الآن .

قسم الفقه في المدرسة العادلية الكبرى :

كانت بلاد الشام خاليةً من العلم وأهله ولكنها في زمان نور الدين الشهيد صارت مقراً للعلماء والفقهاء لصرف همته في بناء المدارس وترتيب أمورها والناس آمنون على أموالهم وأنفسهم [١] ، وكان ممن استدعاهم من العلماء الى البلاد الشامية قطب الدين النيسابوري [٢] فوصل الى نور الدين في سنة (٥٦٨) وهو فقيه عصره ونسيج وحده ، فسر نور الدين به وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق ثم أطلقه الى دمشق فدرّس بزاوية الجامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي ونزل بمدرسة الجاروق [٣] ، وشرع نور الدين في انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وهي المدرسة العادلية الآن التي بناها بعده الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو صلاح الدين وفيها تربته . وقد رأيت أنا ما كان بناه نور الدين ومن بعده منها ، وهو موضع المسجد والمحراب الآن .

---

(١) الروضتين ١٤/١ .

(٢) المصدر نفسه ١٣/١ .

(٣) هي المدرسة الجاروخية .

ثم لما بناها الملك العادل أزال تلك العمارة وبناها هـذا البناء المحكم الذي لا نظير له في بنيان المدارس ، وهي المأوى ، وبها المثوى ، وفيها قدر الله تعالى جمع هذا الكتاب (أي الروضتين في أخبار الدولتين) فلا أقفر ذلك المنزل ولا أقوى [1] .

وبقي قطب الدين الى أن توفي في الأيام الناصرية في سنة ثمان وسبعين وقد وقف كتبه على طلبة العلم . ونقلت بعد بناء هذه المدرسة اليها فما فاتها ثمرته إذ فاتها مباشرته [1] .

ويصف لنا أبو شامة الاحتفال بافتتاحها فيقول : حضر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل فجلس في ايوان المدرسة وجلس عن يمينه شيخ الحنفية جمال الدين الحصري ثم فخر الدين بن عساكر ثم القاضي محي الدين بن الشيرازي ثم القاضي محي الدين بن يحيى الزكي .

وجلس عن يسار السلطان مدرس المدرسة قاضي القضاة جمال الدين المصري ، ثم سيف الدين الآمدي ، ثم شمس الدين بن سني الدولة ، ثم القاضي نجم الدين خليل قاضي العسكر وجلس مقابل السلطان تقي الدين بن الصلاح ، ودارت حلقة صغيرة فيها أعيان المدرسين والفقهاء والناس وراءهم متصلون ملء الايوان وكان مجلساً جليلاً لم يقع مثله الا في سنة (٦٢٣) واشترك السلطان مع الجماعة في الكلام العلمي [2] .

ومن ذلك الوقت أصبحت التقاليد أن لا يلي التدريس فيها إلا قاضي القضاة وأن تكون محكمة للقضاء الشافعي ، وهذه أسماء من وليها على الترتيب .

---

(١) ابو شامة في الروضتين ٢١٤/١ .

(٢) ذيل الروضتين ١٣٢ .

١ — جمال الدين المصري [١] .

٢ — شمس الدين احمد بن خليل الخويي .

٣ — كمال الدين عمر بن بندار بن عمر التفليسي نيابة عن شهاب الدين الخويي .

٤ — رفيع الدين الجيلي .

٥ — كمال الدين المذكور اصالة عن نفسه .

٦ — نجم الدين بن سني الدولة .

٧ — شمس الدين بن خلكان .

٨ — عز الدين محمد بن الصائغ .

٩ — بهاء الدين بن الزكي .

١٠ — نجم الدين بن صصرى .

١١ — بدر الدين بن جماعة .

١٢ — امام الدين القزويني .

١٣ — جمال الدين الزرعي .

١٤ — جلال الدين القزويني .

١٥ — علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي .

١٦ — علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الاخنائي .

---

(١) أعطى ابو شامة ملاحظات قيمة عنه . فقال : انه اول من درّس فيها . وكان يذكر بها قبل درس الفقه درساً من تفسير القرآن طويلاً ويجري فيه مباحث حسنة . فانه كان يحضره معنا جماعة من الفضلاء فاتفق أن فرغ من ذكر التفسير من أوله الى آخره فلما تم له ذلك توفي بعد ذلك بقليل أي سنة (٦٢٣) . وقال عن مجلس قضائه : كان ملازماً لمجالس الحكم بالشباك الكمالي بالجامع وغيره . وكان اذا جلس فيه بعد العصر لا يزال الى أن يصلي المغرب ، . وفي بعض الليالي يصلي العشاء الآخرة فكان اذا فرغ من الحكم بين الخصوم تجري بحضرته المذاكرة في العلم الى حين انفصاله . ويجلس بكرة كل يوم جمعة ويوم الثلاثاء بايوان العادلية لاثبات الكتب ويصطف شهود البلد في جوانب الايوان وكان مجلساً عليه جلالة (ذيل الروضتين ١٤٨) وينبغي أن نشير هنا الى ان اهل دمشق حتى يومنا هذا يسمون المحكمة « بالعادلية » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٧ — جمال الدين يوسف بن ابراهيم بن جملة ·

١٨ — تقي الدين السبكي ·

١٩ — بهاء الدين احمد بن تقي الدين السبكي ·

٢٠ — أخوه تاج الدين السبكي ·

٢١ — سراج الدين الحمصي ·

٢٢ — شمس الدين الوناني ·

٢٣ — شرف الدين القزويني معيد المدرسة (١) ·

ويغيب بعد ذلك في مطاوي الكتب المجهولة أسماء من تولاها بعد ذلك وفضلاً عن كون هؤلاء فقهاء وقضاة فان بينهم أعلاماً في الأدب واللغة كابن خلكان صاحب وفيات الأعيان وكجلال الدين القزويني الذي أصبح كتابه «التلخيص» في علوم المعاني والبديع والبيان كتاباً مدرسياً من عهده الى عصرنا هذا وكتاج الدين السبكي الذي له كتب قيمة في الأدب والتاريخ كجمع الجوامع وكطبقات الشافعية وقد ترجم لأكثرهم السيوطي في طبقات النحاة ·

وكان يؤمها العلماء واللغويون ويجري فيها مباحثات ومناقشات لغوية وأدبيـة فقد نقل عن جلال الدين القزويني أنه قال : اجتمعت ببدر الدين ابن النحوية في العادلية بدمشق وسألته عن قول أبي النجم :

قد أصبحت أمُّ الخيار تدَّعي علي ذنباً كله لم أصنع

في تقديم حرف السلب وتأخيره فما أجاب بشيء · وقد تكلم على هذا البيت كلاماً جيداً في مؤلفه «إسفار الصباح» والسبب في ذلك أن كل من وضع مصنفاً لا يلزمه أن يستحضر الكلام عليه متى طلب منه لأنه حالة التصنيف يراجع الكتب المدونة في ذلك ويطالع الشروح فيحرر الكلام في ذلك الوقت ثم يسهو عنه (٢) ·

(١) ذيل الروضتين ٢٣٩ ويرجع لمعرفة تراجم هؤلاء المذكورين الى تنبيه الطالب للنعيمي ·

(٢) اللمعات البرقية ·

وممن نزلها وتوفي فيها من الشعراء الفصيح محمد بن أبي النجم بن البطريق الشاعر الجزري الأديب له شعر حسن فائق [١] .

قسم القراءات واللغة العربية :

علم القراءات من فروع اللغة وهو عبارة عن بيان لهجات بعض القبائل العربية ومذاهب النحاة واللغويين في الالفاظ الواردة في القرآن الكريم . والقراءات والعربية متلازمتان . فلا يكون قارئ ماهر الا وهو نحوي لغوي ، ولا نحوي لغوي الا وهو قارئ .

وأئمة اللغة هم أئمة القراءات وأصحاب المذاهب فيها كأبي عمرو بن العلاء ، والكسائي ، وخلف الأحمر ، وحمزة الزيات ، وأضرابهم كابن مالك ، وابن الحاجب ، وابن هشام ، وأبي حيان من المتأخرين .

أما هذا القسم وهو قسم القراءات واللغة العربية في المدرسة العادلية فقد كان في القسم الخارجي منها في تربة الملك العادل التي أحد أبوابها في دهليز المدرسة بقابله من الجهة الشمالية باب آخر لسكن أستاذ هذا الفن . وقد أفادنا أبو شامة بأنه كان ساكنا في هذه المدرسة هو وأهله .

ويفيدنا أيضا بأنه كان فيها مجلس للكتب (قاعة مطالعة) في صدر الايوان وهو الموضع الذي كان يجلس فيه غالبا للفتوى وغيرها ومنه يخرج الى الصلاة بالمدرسة [٢] كما يفيدنا ابن العماد : أن أبا شامة وقف كتبه عليها وشرط أن لا تخرج منها فاحترقت جملة [٣] .

المشيخة الكبرى :

يرجع الفضل في معرفة هذه المشيخة الى محمد بن الجزري فقد قال في ترجمته لمحمد بن مالك النحوي الشهير : قدم دمشق مستوطنا ونزل بالعادلية الكبرى .

(٤) ذيل الروضتين ١٦٩ وتوفي سنة ٦٣٧ .
(١) المصدر السابق ص ٣٨ .
(٢) شذرات الذهب ٣١٩/٥ .

وولي مشيختها الكبرى التي من شرطها القراءات والعربية وأظن ولايته لها بعد أبي شامة . فأقام بالعادلية وألف التواليف المفيدة في فنون العربية ...

وحدثني بعض شيوخنا أنه كان يجلس في وظيفة مشيخة الاقراء بشباك التربة العادلية . وينتظر من يحضر يأخذ عنه . فاذا لم يجد أحداً يقوم الى الشباك ويقول : القراءات القراءات ، العربية العربية . ثم يدعو ويذهب ويقول : أنا لا أرى ان ذمتي تبرأ الا بهذا فانه قد لا يعلم اني جالس في هذا المكان لذلك[1] .

ويقول السيوطي : ان ابن مالك كان أمام المدرسة العادلية أيضاً فكان اذا صلى يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان الى بيته تعظيماً له[2] .

وممن تولى مشيخة الاقراء الكبرى والإمامة فيها أبوشامة وبها ألف كتابه القيم « الروضتين في أخبار الدولتين » وأشار لذلك في كتابه المذكور[3] .

ويفيد ابن الجزري بأنه كان بها مشيخة صغرى وممن تولاها محمد بن منصور الحلبي[4] .

وهذه أسماء من عرف من تولوا المشيخة الكبرى فيها :

١ — القاسم بن أحمد اللورقي النحوي .

٢ — ابو شامة مؤلف الروضتين .

٣ — محمد بن مالك النحوي .

٤ — احمد بن ابراهيم بن سباع الفزاري .

٥ — محمد بن أبي بكر الحريري .

٦ — محمد بن محمد الجزري مقرئ الممالك الاسلامية ومؤلف النشر في القراءات العشر .

٧ — ابنه فتح الدين .

٨ — ابنه الآخر محمد .

---

(١) غاية النهاية ٢/١٨٠ .

(٢) بغية الوعاة ص ٥٥ .

(٣) أنظر ص (٦١) من هذا المقال .

(٤) غاية النهاية ٢/٢٦٦ .

٩ — صدقة الضرير .

١٠ — عثمان بن الصلف .

١١ — اسماعيل بن ابراهيم البكاري .

١٢ — محمد بن ابراهيم الزنجيلي .

١٣ — نصر الله البابي الجوخي [١] .

ومن طريف ما يذكر أن جماعة من المغرمين بالسبق تجمعوا بها وقرؤا الجزء الأول من تاريخ الحافظ ابن عساكر سنة (٦١٤) أي قبل أن يتم بناؤها بخمس سنين وكان من جملتهم الحافظ البرزالي المؤرخ [٢] ، فكانوا أول من دَرَّس بها .

وقد غاب عنا أسماء من درّس بها منذ القرن التاسع الهجري حتى القرن الثاني عشر الذي ظهر به الشهاب أحمد المنيني صاحب التآليف العديدة فسكنها ودرّس بها وألّف . ثم تسلسل التدريس في أحفاده حتى جعلها المجمع العلمي العربي مقراً له في سنة (١٩١٩ م) .

ويقول المرحوم محمد كردعلي : وكأن المولى تعلقت ارادته فقضى أن لا يخلي العادلية والظاهرية من علم ينشر ، وأدب يذكر ، فاختارهما مباءة للمجمع العلمي ، يقيم فيهما سوق العلم والأدب بعد الكساد [٣] .

محمد أحمد دهمان

(١) يرجع لمعرفة تراجم هؤلاء الى تنبيه الطالب للنعيمي ج٢ التربة العادلية ، والى غاية النهاية لابن الجزري ، وطبقات النحاة للسيوطي .

(٢) انظر الجزء الأول من تاريخ ابن عساكر تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ص ٦٣٢ و ٦٣٤ و ٦٥٢ و ٦٦٣ و ٦٧١ و ٦٨٢ و ٦٩٢ و ٧٠٨ و ٧١٩ .

(٣) خطط الشام ٨٥/٦ .

دراسات

عن مقدمة ابن خلدون

ألفه أبو خلدون ساطع الحصري

طبعة موسعة صفحاتها (٨ + ٦٥٦ + أربع لوحات اضافية) (١)

منذ عشرة أعوام نشر العالم الاجتماعي ساطع الحصري كتاباً عنوانه « دراسات عن ابن خلدون » يقع في جزأين صدرا في بيروت عام ١٩٤٣ و ١٩٤٤ . ونظراً لأحوال الحرب السائدة يومذاك ولبعد الأستاذ ساطع الحصري عن مكتبته التي كانت في العراق فقد اكتفى بأن يدوّن في ذينك الجزأين خلاصة آرائه مستعيناً بذاكرته الجبارة وبمراجعة مقدمة ابن خلدون من جديد . ومع ذلك كله فقد جاءت تلك الدراسات أوفى ما كتب على ابن خلدون من ناحية عرض الموضوع ومن حيث مقارنة آراء ابن خلدون بآراء علماء التاريخ والاجتماع من الغربيين .

وكان الأستاذ الحصري يمنّي النفس بأن تنتهي الحرب العالمية الثانية ويجمع الله شمله بمكتبته الثمينة وبأوراقه التي دوّن فيها ملاحظاته وأثبت عليها موازناته وقيد شوارد أفكاره . وحقق الله أمنية الأستاذ الحصري ولكن الأيام شغلته عما كان قد عزم عليه ، فان البلاد العربية أرادت أن تستفيد من خبرته الطويلة في التربية والتعليم فكان مستشاراً للمعارف في الجمهورية السورية ثم مستشاراً ثقافياً في جامعة الدول العربية فأدى من المنصبين خدمات جليلة لأمته ولبلاده ،

(١) نشره السيد محمد ناجي الخضيري ببغداد ، وطبعته دار المعارف بمصر ١٩٥٣ .

ولكن لم يستطع أن يوفر وقته على استتمام البحث في مقدمة ابن خلدون . غير أنه استطاع أن يوسع دراسته الأولى فجعلها ستمائة وأربعاً وستين صفحة بعد أن كانت نحو خمسمائة . هذا بالاضافة الى أربع لوحات تمثل اثنتان منها رسمين خياليين لابن خلدون وتمثل اثنتان أخريان مشاهد من بيئة ابن خلدون (بيته وبناء مدرسته) .

على أن هذه الدراسات لا تزال في رأي الأستاذ ساطع الحصري نفسه غير وافية بمراده ، كما أن شواهدها من المراجع الأجنبية لا تزال تحتاج الى توسيع في بعض نواحيها والى تقييدها بأرقام صفحات الكتب في بعض نواحيها الأخرى . وكذلك كان الأستاذ الحصري يأمل أن تنتهي الحرب العالمية الثانية فيتاح له أن يطلع على مخطوطة قيل إنها محفوظة في تونس . ولقد سافر الأستاذ ساطع الحصري الى تونس عام ١٩٤٥ ولكنه لم يعثر على تلك المخطوطة المرجوة فلم يكن له بد بعد ذلك من أن يوسع « دراساته عن ابن خلدون » على منهاجه القديم ، ومع هذا فقد قطع الطريق على كل باحث جديد في مقدمة ابن خلدون . ولن يتاح لأحد أن يزيد شيئاً على ما جاء به الأستاذ الحصري في هذا الموضوع الا اذا وقع على مخطوطة جديدة لمقدمة ابن خلدون .

* * *

يمس الأستاذ ساطع الحصري في توطئة دراساته (ص ١ — ٩) نقطتين مهمتين جداً في تأريخ العلم ، إذ يرى أن العلماء عادة يشركون أقوامهم في بعض أخطائهم الشائعة . غير انه يدافع عن العلماء ، كلهم لا عن ابن خلدون وحده ، فيقول : « ان أصول البحوث العلمية تتطلب من كل باحث يقدم على مطالعة كتاب قديم أن يتأمل في مواضيعه ... وأن يعرف حق المعرفة بأن خطورة الأخطاء التي تلغى (١) في الكتب القديمة لا يجوز أن توزن بالمقاييس

(١) في الأصل تلقى (بالقاف) وهو خطأ مطبعي .

الفكرية العصرية ، بل يجب أن تقدر بموازين تاريخية خاصة .... وهذه الموازين الخاصة لا يمكن أن تتقرر الا بتتبع الفكر البشري بوجه عام» . من أجل ذلك لا ينكر الأستاذ الحصري أن يكون ابن خلدون قد أخطأ في بعض ما كتب كما أخطأ أرسطو وسوى أرسطو . على أن ابن خلدون قد عري في آرائه عن السفسطات التي أتى بها أرسطو نفسه .

أما النقطة القيمة الثانية فهي اننا نحن العرب نطلع عادة على كل ما كتب أسلافنا ، الغث منه والسمين ، فنرى دائماً المآخذ عليهم ، بينما الغربيون لا يقدمون الى جمهور قرائهم الا المقتطفات . فاذا نحن رأينا تلك المقتطفات المختارة ظننا ان المفكرين الغربيين لا سقطات لهم البتة .

بمثل هذه الروح يتقدم الأستاذ الحصري الى مقدمة ابن خلدون بالدراسة فيتناولها من ست زوايا .

١ — المدخل الاول : على هامش المقدمة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الأستاذ الحصري إن المؤرخين الغربيين كلهم اهتموا بالخرافات ودونوا أقوال الكهان منذ أقدم الأزمان . حتى هرودوت اليوناني «أبو التاريخ» فعل ذلك ثم سار على آثاره مؤرخو الرومان الى القرن السابع للميلاد . وكذلك القول بتأثير النجوم في الحوادث وفي أعمال البشر سيطر في أوروبة على أذهان العوام والمفكرين على السواء حتى القرن السابع عشر . ولعل أبرز الأمثلة على التصديق بالتنجيم ما جاء في مؤلفات المؤرخ المفكر المشهور جان بودن J. Bodin المتوفى في آخر القرن السادس عشر (١٥٩٤) . هذا المؤرخ يعد في آباء فلسفة التاريخ ويقال عنه أنه أول من ألقى نظرة فلسفية الى التاريخ من بين الفرنسيين . ان بودن هذا قد قال في كتابه «الجمهورية» : لا يوجد شخص ذو عقل سليم لا يعترف بتأثير الأجرام السماوية في الحوادث الطبيعية والبشرية . ثم هو يمضي

في تعليل جميع حوادث التاريخ الكبرى على أساس التنجيم والتنبؤ بالنظر الى جميع حوادث التاريخ الكبرى على أساس التنجيم والتنبؤ بالنظر الى النجوم . «ان العرب مثلاً ، لما حدث القران [1] العظيم سنة ٦٣٠ م ، نشروا دين محمد وثاروا (كذا) ضد أباطرة القسطنطينية وغيروا الدول واللغات والأخلاق والدين (ص ٢٣ — ٣٠) .

وكذلك ظل المؤرخون والمفكرون الأوروبيون حتى منتصف القرن الثامن عشر يعتقدون بالسحر ويضعون أصول المحاكمات التي يحكمون بموجبها على السحرة . ولم يتأخر بودن نفسه عن أن يقول ان الموسيقى تطرد الشياطين (ص ٣١ — ٣٤) . ولقد ظل المؤرخون الأوروبيون الى أوائل القرن التاسع عشر يعللون التاريخ تعليلاً دينياً ويرفضون فيه مقام العقل .

أما ابن خلدون الذي عاش في القرن الثامن للهجرة (والرابع عشر للميلاد) فلم يمزج وقائع التاريخ بأخبار الكهانة كما فعل «أبو التاريخ» هيرودوت ، ولا هو حاول تفسير التاريخ بتأثيرات النجوم كما فعل جان بودن ؛ وكذلك لم يكتف ابن خلدون برد عوامل التاريخ الى مشيئة الله كما فعل بوسوئه ولا حاول اتخاذ التاريخ وسيلة لإثبات قدرة الله كما فعل فيكو ، مع انه كتب ما كتبه في هذا الصدد قبل أن جاء بودن بمدة تناهز القرنين ، وقبل بوسوئه بمدة تزيد على ثلاثة قرون ، وقبل فيكو بمدة تقرب من ثلاثة قرون ونصف قرن (ص ٣٨) . ان ابن خلدون قد علل التاريخ تعليلاً عقلياً علمياً وبنى آراءه على مشاهداته واستقراءاته فكانت طرائق البحث التي اختارها وسلكها في هذا المضمار أكثر قرباً وأشد شبهاً بالخطط العلمية الحالية من الطرائق التي اتبعها بعض المشاهير الأوروبيين الذين جاءوا بعده مثل بودن وبوسوئه وفيكو (ص ٣٩) .

---

(١) القران وقوع كوكبين على خط نظر واحد .

وفيكو نفسه يبدو بالاضافة الى ابن خلدون ، كما قال الأستاذ الحصري في فصل آخر ، طفلاً صغيراً (راجع ص ١٨٣ وما بعدها) فقد كان في بعض الأحيان خيالياً الى أبعد درجات الخيال كما سخف أحياناً أخرى في تعليلاته ، ذلك لأنه كان يريد أن يبرر شذوذ الملوك لا أن يعلل سير التاريخ (ص ١٩٣ س).

٢ — المدخل الثاني : حول مؤلف المقدمة :

بعدئذ يتكلم الأستاذ الحصري على بيئة ابن خلدون وعلى حياته بالتفصيل (ص ٤١ — ١٠٨) وعلى ما في عصره من الاضطراب الشديد ومن تقهقر الحياة السياسية في الأندلس خاصة وفي المغرب ، ثم على ما نزل بابن خلدون من المصائب وما لقيه من المصاعب في أسفاره الكثيرة ، ويفرد الأستاذ الحصري في هذا القسم بحثاً لآثار ابن خلدون .

٣ — القسم الأول : نظرات وملاحظات عامة (في المقدمة) :

يكشف الأستاذ الحصري في هذا الفصل عن أمر مهم جداً ، هو أن ابن خلدون كتب الجزء الأول من كتابه في التاريخ (المقدمة) «قبل أن جاء الى المشرق ؛ ثم انه نقح هذا الجزء «بعد» أن جاء الى المشرق . وينتهي الأستاذ الحصري الى القول بأن ابن خلدون قد زاد بعد رحلته الى المشرق نقولاً برمتها على «المقدمة» أو زاد أشياء في الفصول التي كان قد كتبها . ثم ان ابن خلدون كان يعلق ، على النسخة التي كانت بين يديه ، حواشي مختلفة . دخلت مع الزمن ، وعلى أيدي النساخ ، في متن المقدمة . أما النسخة القديمة فتعرف بالنسخة التونسية لأنها كتبها وهو لا يزال بالبلاد التونسية . وأما النسخة الجديدة فتعرف باسم الفاسية أو الفارسية لأنه كتبها بعد أربع عشرة سنة في مصر ثم أهداها الى مكتبة السلطان ابي فارس عنان سلطان فاس بمراكش .

وفي هذا القسم يدرس الأستاذ الحصري لغة المقدمة ويشير بحق الى أن الكلمات تتبدل معانيها مع الزمن . ولذلك يجب على دارس الكتب القديمة ان يتفطن الى المعاني التي كانت للكلمات يوم كتبت تلك الكتب . وبعد أن يستعرض الأستاذ الحصري عدداً من هذه الكلمات التي تقلب معناها مع الزمن يقف وقفة طويلة على كلمة «عرب» ويقول ان ابن خلدون حينما كان يقول «العرب» كان يعني البدو . ولقد أفاض الأستاذ الحصري في مناقشة الأدلة على رأيه هذا حتى جاء رأيه مقنعاً جداً . وهنالك دليل آخر غفل عنه الأستاذ الحصري ، هو ان ابن خلدون حينما كان يقول ان العرب اذا تغلبوا على بلاد أسرع اليها الخراب وأشباه ذلك كانت تراود خياله أفاعيل بني سُليم (بضم السين) بن منصور وبني هلال بن عامر الذين هاجروا في القرن الخامس للهجرة من شبه جزيرة العرب (أو من مصر على الأصح بعد أن جاءوا اليها من شبه الجزيرة) الى المغرب وما نشأ بينهم وبين قبائل زناتة من الحروب وما جرى على أيديهم من الخراب .

٤ — القسم الثاني : مكانة ابن خلدون في تاريخ فلسفة التاريخ وفي علم الاجتماع

سبق ابن خلدون بمقدمته جميع فلاسفة التاريخ وجميع علماء الاجتماع . يريد المؤلفون الغربيون أن يجعلوا فيكو الايطالي (ت ١٧٤٤ م) مؤسس علم التاريخ مع أنه كان يؤمن بالسحر والخرافات ، ثم هو لم يتبع في (بحوثه) طريقة استقراء الحوادث ولم يتقيد في تفكيره بقيود الواقعات (ص ١٨٠ — ١٨٨ ، ١٨٩) بينما ابن خلدون الذي جاء قبل فيكو بنحو ثلاثة قرون ونصف قرن لم يؤمن بهذه الخرافات ولم يأخذ بالروايات التي لا يصدقها العقل ، ثم انه تفوق على فيكو تفوقاً كبيراً من حيث شمول النظر ونزعة التعمق وطريقة البحث والاستقراء ؛ وهو يقترب من طرائق (البحوث) العلمية الحديثة بوجه عام وطرائق (البحوث)

التاريخية والاجتماعية بوجه خاص اقترابا واضحاً (ص ١٩٥ — ١٩٩) . من أجل ذلك كان ابن خلدون أجدر بلقب مؤسس علم التاريخ في رأي الباحثين (ص ٣٠٠) .

واذا نحن جئنا الى مونتسكيو (ت ١٧٥٥ م) رأينا بعض المؤلفين ينسبون اليه ابتكار نظرية « تأثير الأحوال الاقتصادية في الوقائع التاريخية » . والصواب أن ابن خلدون ربط بين الوقائع التاريخية وبين الأحوال الاقتصادية قبل مونتسكيو بثلاثة قرون ونصف قرن أيضاً . ومع أن مونتسكيو يستحق مقاماً ممتازاً جداً في « تاريخ فلسفة التاريخ » بفضل المباحث التي كتبها عن الجباية والتجارة والنقود والنفوس ، فان التعميمات الخاطئة كثيرة عنده كثرة التعميمات الصائبة ، بينما معظم نظرياته الاقتصادية البحتة مليئة بالأغلاط ، وكان هو يشعر أن فيها تناقضاً (ص ٢٠٥ — ٢٠٧) . ويجب أن نعلم أن ابن خلدون لم يسبق مونتسكيو الى « صلة الاقتصاد بالتاريخ » سبقاً زمنياً فحسب ، بل فاقه أيضاً في عمق التفكير ودقة النظر وحسن التعليل (٢٠٦ — ٢٢٠) .

وفي علم الاجتماع أيضاً كان لابن خلدون فضل الابتكار والنبوغ والتفوق . ان الدعوى بأن أوغوست كونت هو مؤسس علم الاجتماع لا تثبت عند البحث والتدقيق . إن حق ابن خلدون بلقب « مؤسس علم الاجتماع » أقوى من حق كونت (ت ١٨٤٣ م) لأنه « درس الحادثات الاجتماعية » ثم تخيل علم الاجتماع علماً مستقلاً قائماً بذاته ووضع له الأسس واستنتج منها النتائج واكتشف القوانين قبل أوغوست كونت بنحو أربعمائة عام . وبحوث ابن خلدون في « الاجتماع » لا تجعله مؤسس علم الاجتماع فقط ، بل ترفعه الى مصاف علماء الاجتماع الذين نبغوا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحاضر (ص ٢٣٥ — ٢٤١) .

ثم ان الأستاذ الحصري ينهي هذا الفصل برأي العالم توينبي وهو : « إن ابن خلدون ، في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام ، قد أدرك وتصور وأنشأ فلسفة للتاريخ هي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في زمان ومكان (ص ٢٦٠) .

٥ — القسم الثالث : آراء ابن خلدون ونظرياته :

يقع هذا القسم في مائتين وتسعين صفحة ، ويصعب تلخيصه لأنه هو في الحقيقة تلخيص لمقدمة ابن خلدون كلها . إلا أنه لا بد من إثبات بعض الآراء والنظريات البارزة والخالدة في تاريخ العلم مما سبق ابنُ خلدون به أندادَه من فلاسفة التاريخ أو علماء الاجتماع .

ابن خلدون مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع

(أ) موضوع التاريخ ومهمة المؤرخ :

يرى ابن خلدون أن حقيقة التاريخ إنما هي الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر بأعمالهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع ... والتاريخ لا يتناول عند ابن خلدون أخبار الملوك ووصف الحروب فقط ، بل هو يتناول أيضاً كل ما حدث من التحول في الحياة الاجتماعية على اختلاف مظاهرها وفي المؤسسات الاجتماعية على اختلاف أنواعها . فالاقتصاد والصناعات والعلوم كلها تدخل في التاريخ . ثم ان مهمة المؤرخ ليست سرد أخبار الماضين ولا وصف أحوال الاجتماع فحسب ، بل في حقيقتها « تمحيص الأخبار لتمييز الحق من الباطل والصدق من الكذب فيها والتأكد من مطابقتها للواقع ، ثم تعليل الوقائع لمعرفة كيفية حدوثها وأسباب تزاحمها وتعاقبها » . فابن خلدون في ذلك اذن « يتفوق بنظرته هذه على جميع المؤرخين الذين سبقوه في الشرق والغرب بوجه عام ، وعلى جميع الذين أتوا بعده خلال أربعة قرون على أقل تقدير » (ص ٢٦٤ — ٢٦٥) .

ARCHIVE http://Archivebeta.sakhrit.com

(ب) طبيعة الاجتماع ومنشأ الحكم :

لاحظ ابن خلدون قبل علماء الاجتماع المعاصرين ان «الحوادث الاجتماعية» تجري بتقليد بعض الأفراد لبعض وللضغط أو القسر الحاصل في المجتمع على أفراده لحملهم على أن يسلكوا مسلكاً معيناً . ان الذين يستشعرون من أنفسهم الضعف أو الجهل أو التأخر يقلدون من هم أقوى منهم أو أعلمُ أو أوجهُ طوعاً أو انسياقاً ، حتى إن الجماعات الضعيفة تقلد جيرانها الأقوياء أو أعداءها المجاورين لها أو المتغلبين عليها (ص ٩٤ وما بعدها) .

(ج) التطور التدريجي في الطبيعة والمجتمعات :

يتبنى ابن خلدون رأي اخوان الصفا في «التطور الطبيعي للأحياء» ثم يوسعه قليلاً ويطبقه على المجتمعات ، فهو يرى بأن المجتمعات وان كان المتأخر منها يحرص على محاكاته المتقدمَ في أحواله ، فانها تتطور في الحقيقة تطوراً غير ملموح في أكثر الأحيان ولكنه مستمر . وهذا التبدل البطيء المستمر هو الذي يخلق المجتمعات المستجدة . على أن التبدل في المجتمعات يكون أحياناً تبدلاً كلياً مفاجئاً . ويلاحظ ابن خلدون عندئذ بأنه «اذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره كأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدَث (ص ٣٠١ وما بعدها) .

(د) طبائع الأمم وسجاياها (ص ٣٠٧ — ٣٣٢) :

لا ينكر ابن خلدون تأثير الوراثة العرقية في صفات الأقوام ، ولكنه يرى أنها أقل خطراً مما يظهر للوهلة الأولى وأضيق نطاقاً مما ظن الباحثون من قبل . حتى الصفاتُ التي تظهر مشتركةً بين الآباء والأولاد ليست كلها — فيما يتعلق بالانسان — عرقية ذلك لأن الأولاد يأخذون معظم صفاتهم من «احتكاكهم» بالذين ولدوهم وعايشوهم وخالطوهم . ومع ذلك فانه يجب علينا أن نفرق بين

الصفات التي تنتقل من الآباء الى الأبناء من طريق الدم وبين الصفات التي تنتقل من طريق المخالطة الاجتماعية . ثم ان الأعمال المعاشية (الزراعة ، التجارة ، النجارة ...) التي يقوم بها البشر تأثيراً كبيراً في نشوء صفاتهم . كل هذا ذكره ابن خلدون في مقدمته قبل أن يذكره العلماء الغربيون بأربعة قرون أو خمسة . والأمثلة التي يضربها ابن خلدون على ذلك كثيرة طريفة صائبة ، ولكن المجال هنا لا يتسع لذكرها .

(ه) نظرية العصبية (ص ٣٣٣ — ٣٥٣) :

العصبية عند ابن خلدون هي « النُعْرَةُ » على ذوي الأرحام أن يصيبهم هلكة أو ينزل بهم أذى . وتتولد العصبية من القرابة في الدرجة الأولى . وكلما كانت القرابة أدنى كانت العصبية الناشئة منها أقوى . ولذلك كانت العصبية في البدو أعظم خطراً من العصبية في الحضر لصفاء الانسان في البدو واختلاطها في الحضر . ولكن « حقيقة العصبية » أنها « الشعور » بوحدة النسب وبوحدة المصلحة ، اذ النسب في نفسه أمر وهمي ، وما نشأة العصبية وقوتها الا ثمرة للعشرة وطول الممارسة والصحبة بالمربى والرضاع وسائر أحوال الموت والحياة » .

والعصبية ضرورية لقيام الدول والانتصار في الحروب ولبقاء الملك وللقيام بالحركات المختلفة ، حتى الدعوة الدينية فانها لا تتم بلا عصبية ، فلو لم يبعث محمد ﷺ في منعة من قومه وعصبية من آله لما انتشر الاسلام بمثل هذه السرعة . ثم ان الأوطان الكثيرة العصائب قلّ أن تستحكم فيها دولة أو تستقر طويلاً . والعصبية التي هي أساس نشوء الدول عند ابن خلدون هي غير العصبية التي هي الحمية الجاهلية والتفاخر بالأنساب والتشدق بالأفعال . فالأولى محمودة والأخرى مذمومة .

(يتبع) الدكتور عمر فروخ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فضل الثنائية على المعجمية

– ٢ –

ث – أنف

المعنى الاولي الحقيقي لهذه المادة الثلاثية نجده في العبرية في فعل ânaf ، ومعناه : تنفّس ، ومنه جاء «الأنف» ، وهو آلة الشم والتنفّس ، بيد للتنفس بقتضي هواء ، وهذا لا مدلول له من المادة المذكورة الا في العربية وحدها ، وذلك في « نَفْنَفَ » الثنائي الخفيف المكرّر المراد به « الهواء ، والمهوى » وقد زيدت الهمزة تتويجاً على هذا الثنائي الخفيف « نَفْ » فأصبح « أَنَفْ » .

ومقابل « الأنف » العربية ، في العبرية ap ، وفي الأكدية appu ، وفي السريانية appâ ، وفي الارمية appîm ، وفي الحبشية anef ، وفي غالب هذه الألسن تدل كلمة « أنف » على الوجه أيضاً ، لأنه هو الظاهر منه لأول وهلة ، وفي العربية يصاغ من « الأنف » الفعل « أَنَفَ » ارتجالاً ، واذ كان الأنف أول ما يرى في الوجه ، دلت اللفظة على مداليل الابتداء مجازاً ، واذ كان الأنف ينتفخ عند الغضب ، جاء الفعل بمعنى اغتاظ ، واذ كان الانسان المتكبر يشمخ بأنفه ، ورد فعل « أنف » دالاً على الكره والنفور ، والاشمئزاز والاحتقار ، وهذه مخاويه على اختلاف أحواله .

أَنَفَهُ أنفاً : ضرب أنفه ، و – الرجلَ الماءُ : بلغ أنفه ، وأَنِفَ أنفاً : اشتكى أنفه ، و – الإبلُ : وقع الذباب على أنوفها ، وكلها ارتجالية من الاسم « أنف » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أَنَف فلانٌ : وطأ كلأً أُنُفاً ، لم يرعَ . وأَنِف من الشيء : استنكف وتنزّه عنه . و — من قوله أشدّ الأنف . كرهه . و — أَنفاً وأَنَفةً : سار في أول الليل (مجاز) . آنفه : جعله يشتكي أنفه . وأَنَّف الشيءَ : حدّده . و — فلاناً : حمله على الأَنَفة . و — الراعي طلب أُنُفَ الكلأ ، أي الذي لم يرعَ . تأنّف الطعامُ : لم يؤكل منه شيءٌ . وتأنّف الإخوانَ : طلبهم آنفين ، لم يعاشروا أحداً . إئتنف الشيءَ واستأنفه ، أخذ فيه وابتداه . الآنِف : المأنوف الذي يشتكي أنفه . آنِفةُ الصبا : ميعته وأوّليّته . الأُنافيّ : العظيم الأنف . — الأَنْف في الانسان وغيره من الحيوان : يطلق على مجموع المنخرين والحاجز والقصبة . وهو آلة الشمّ والتنفس . ويقال مجازاً . الأنف : سيّدُ القوم . و — ثنية الجبل . و — من كل شيء أوله أو أشده . يقال : أنفُ الشد : أول العدو . وأنف البرد : أوله وأشده . و — من المطر : أول ما انبت . و — من الأرض : ما استقبل الشمس من الجلد . و — من الرغيف : الكسرة . و — من الجبل : النادر والشاخص منه . و — من النبات : طرفه . و — من اللحية : جانبها . ورجل حميّ الأنف : يكره أن يُضام . — الأُنُف : كلأٌ بحاله لم يرعه أحد . و — المشية الحسنة . و — الخمر لم يستخرج شيءٌ مثلها من الدن . يقال للمتغيّظ : ورم أنفه : لأن الغضبان ينتفخ أنفه ويحمرّ . — الأَنوف : الكاره اتيان الدنايا . — والأَنيف : اللين من الحديد . مثل الأنيث . المِئناف السائر في أول النهار . — المتأنَّف والمؤتنف من الأماكن : الذي لم يؤكل منه شيء . المؤتنف : الذي هو في مقتبل الشباب . المستأنَف من الأمر : هو الذي لم يسبَق اليه .

* * *

ج — أهل

الرس الثنائي الخفيف لهذا الثلاثي هو « هَلْ » ومثقله « هَلّ » الدال على رفع الصوت ، وانصباب المطر من علو السماء الى الأرض ، وظهور القمر مرتفعاً ومتلألئاً في العلاء .

والفكرة الشاملة في كل هذه الدلالات هي فكرة الحركة والهزّ الظاهرة أيضاً في مكرّر الثنائي الخفيف « هَلْهَلْ » المراد به : الرجوع عن الشيء ، وترجيع الصوت ، وفي الصوت وترجيعه حركة وارتفاع . والألفاظ الناظرة الى « هَلْ » العربية هي ، في العبرية : hâlal : برق ، لمع ، تلألأ ، أشرق . وفي الأكدية ellu (هلّو) : لمع ، أضاء ، أشرق . و alâlu (هَلالو) : صوّت ، هتف . وفي السريانية hal : هلّل ، رتّل ، و hallèl هلّل ، مدح ، عظم . وقد زيدت الهمزة على « هَلْ » الثنائي ، فأصبح « أهل » الثلاثي . وتوسعت متطورة معاني « أهل » تطوراً متناسقاً ، في العبرية ، والأكدية ، والعربية ، دون أن ترد المادة في الارمية والحبشية . فجاءت في العبرية أولاً : الصيغة الفعلية ، في كلمة âhal مطلقةً على الاقامة تحت الخيمة . والعيشة عيشة أهل الوبر ، أي بالتخييم عند حل الرحال ، وقلع الخيم عند الترحال ، طلباً للمراعي والموارد . ووردت كذلك في العبرية : الصيغة الاسمية ، في لفظة ôhèl المراد بها : الخيمة ، ولا سيما قسمها الأعلى المركّب من شعائر من وبر الإبل ، أو من شعر المعزى ، مما تولد من فكرة الارتفاع المتضمنة في الثنائي « هَلْ » وقد تفرعت نخاويه ، فدلت المفردة على المسكن ، من باب الاطلاق ، وعلى سكان الخيمة ، ثم على الخيمة المقدسة ، عند اليهود ، أي قبة الشهادة ، أو الهيكل المتنقّل معهم في البرية . ثم على الهيكل الثابت ، هيكل أورشليم .

وأخيراً على قصر الملك داود ، والملك سليمان . — وفي الاكدية ، لم يبدأ التطور أو التوسع من أول مرحلة ، وهي الدلالة على الخيمة والتنجيم ، بل أرتجل من فحوى المسكن مطلقاً . فشمل المحلة ، والمثوى ، والقرية ، والمدينة ؛ ولا سيما مقر أو مدينة الآله أو الملك . أما في العربية فشرع التفرع من مرحلة متوسطة . إذ لم تعنِ «أهَل» لا الخيمة والتخييم ، ولا المسكن والسكنى ، بل أرتجلت من مفهوم المقيمين في المكان ، وأطلقت على قطان البيت ، والمدينة ؛ وعلى الأقارب وغيرهم من ذوي العلاقات ؛ ثم على كل شيء له صلة من الصلات بغيره . وهذا تفصيل الفحاوي للمادة العربية .

أهِل المكانُ : صار مأهولاً ، أي عمر بسكانه . وأهَل الرجلُ : اتخذ أهلاً ، أي تزوج . أهِل الرجلُ : أنس . أهَّل فلاناً للأمر : رآه مستحقاً ، أو جعله لائقاً به ، أي رأى العلاقة مناسبة بين الرجل والأمر . و — به : قال له : أهلاً وسهلاً .

آهله للأمر : جعله لائقاً به . و — زوَّجه . — تأهَّل واتَّهل : اتخذ أهلاً أو امرأة . تأهَّل للأمر : جعل ذاته مستحقاً له . — استأهل الشيء : استوجبه . و — فلاناً : وجده مستحقاً . — أخذ الإهالة أو أكلها .

الآهل : المكان العامر بالسكان . الأهلي والأهِل : ما ألف المنازل من الحيوانات وغيرها . الأهِلة : الأنعام والمواشي .

الأهْل : من باب الاطلاق : كل من أو ما له علاقة من العلاقات بغيره . أهلُ الرجل : زوجته . و — عشيرته وأقاربه . و — البيت أو البلد : سكانه . و — المذهب : مَن يعتقده ويدين به . و — الأمر : ولاته . و — كل نبي : أمّته . و — الوَبَر : سكان الخيام . و — المدر والحضر : قطان المنازل المبنية . و — الكتاب : المسيحيون واليهود .

أهلاً وسهلاً : ترحّب . تقديره : صادفت أقرباء لا غرباء . ووطئت سهلاً ، لا خشناً .

الإهالة : اسم للشحم ، وكل ذائب من زبت وغيره . و — كل ما أؤتدم به من الأدهان . المأخوذة من التربد : ماكانت كثيرة الإهالة .

هذه الكلمة أيضاً ، مع ما هناك من ظاهر التناقض بينها وبين بقية فحاوي «أهل» هي من عين الرس الثنائي «هل» . واشتقاقها منه مفعول متساوق . اذ من معاني «هل» انصباب المطر من السماء على الأرض . وهذا ما يتبين بجلاء في فحوى «الإهالة» لأنها دالة على ما يذوب أي يسيل وينصبّ من شحم وسمن وزبت وغيره .

ح : سلم

هذه المادة سامية كل السامية ، لورودها في عامة الساميات ولهجاتها ، دون ستثناء ، مع هذا الفرق وهو أن حرفها الأول سين في الساميات الجنوبية ، أي العربية ، والحبشية ، والسبئية ، وتوابعها ؛ وشين في الساميات الشرقية والشمالية ، أي الأكدية ، والارمية ، والسريانية ، والعبرية ولواحقها .

ان المعنى الأولي لهذه المادة سلبي . أي معنى السلامة والتنزه عن النقص والضعف والآفات البدنية ، وايجابي ، أي الوجود في حال الصحة والعافية والرفاه والأمان والسلام . ومن فكرة الصحة ، أي امتلاك كل ما تتطلبه الحياة . نشأت فكرة الكمال ، والاتمام ، والانهاء ، ثم الزوال .

هذه أنواع معانيها في مختلف هذه اللغات :

في الاكدية : Shâlamu : تنزّه عن العلة والأذى . كمل . و Shulmu : الرفاه والرغد .

في العبرية : Shâlam : صح ، كان في سلام ، سلم • كمل • وفى •

Shallêm : أتم • وفى • أدّى • كافى • أراح • أسعد •

في السريانية : Shlêm : سليم • برئ • انتهى • انقرض • مات •

Shallêm : سلّم • أودع • أتمّ • كافى •

في الحبشية : Salâm : سلام • نجاة • خلاص • تحيه •

(لا وزن مجرد • من الامم أرتجل Tâsalama : تسالموا – سلّم بعضهم على بعض asalasâlama – صالح • سالم) •

في العربية : سلِم : نجا وبرئ من العيوب والآفات • تمتع بالصحة ، وسلمته الحية : لدغته •

قلت : ان الفحوى الاولى سلبي ، وهو النجاة والخلاص من كل آفة وأذى • وهذا ما يبين في الرس الثنائي الصادر عنه هذا الثلاثي ، وهو « سَلّ » ومثقله « سَلّ » الشيء من الشيء : انتزعه وأخرجه برفق • مثلاً : سَلّ السيف من غمده ، والشعرة من العجين • وسلّ : سرق • لأنه ينزع الشيء من صاحبه بخفية ومهارة • وينظر الى هذا الثنائي في السريانية « شَلْ » : سلّ ، نزع ، سلخ ، أسال ، نهب • وفي العبرية : « شالَل » : نزع ، استلّ السيف • سلب ، شلّ • وفي الاكدية « شَلالُو » : سلب •

على أن في العربية لهذا الفعل معناة أخرى لا وجود لما يشبهها في بقية الساميات : وهي « لدغة الحية » فكيف التوفيق بين هذه المتضادات ؟ التوفيق سهل اذا عرفت أن من عادة العرب ، قديماً وحديثاً ، لا بل عند كل الأمم ، وفي سائر اللغات ، استعمال « التعريض » ، لكراهية تسمية الشيء السمج ، أو المزعج ، أو المرهب ، باسمه ، لما ينشئ من النفور في آذان السامعين ، لسوء تأثيره في شعورهم ومخيلتهم وذهنهم • ان « سليم » من حيث الاشتقاق

وتطور الدلالات ، لا يدل البتة على « لدغ الحية » . يبدو ان هذا الفحوى يستعمل من باب التفاؤل . لأن لفظة « لديغ أو ملسوع » ينفر منها السمع والشعور . ولذا يتخذ عوضها كلمة تعاكس ذلك . وهي « سليم » وفي العربية من هذا القبيل شيء كثير . من ذلك مفردة « البصير » أي الحادّ النظر ، تطلق على « الأعمى » تفاؤلاً . وقس على ذلك : « كريم العين » تقال عن الأعور . و « المكوكَب » عن الذي في عينه نكتة . و « أبا البيضاء » عن الحبشي . و « المفازة » عن الفلاة والمهلكة ، تفاؤلاً بالفوز بالنجاة . و « الخفيف على القلب » عن الثقيل الدم . و « ترحّم » بمعنى لعن [1] .

---

(١) لا بأس أن نورد هنا ما وقع تحت نظرنا يوماً ، ونحن نتصفح ، من باب المصادفة ، العدد ٢٣ من المجلة الفرنسية « Dieu Vivant » « الله الحي » . وهو مقال بقلم السيد « بواكيم مبارك » ، موضوعه Islam et paix « الاسلام والسلام » . وقد بحث واضعه (ص ٨٠ ي ي) عن الفعل المجرد « سلم » . الذي نحن في صدده . ولكنه بالحقيقة لم يوفق في ادراك معانيه وتطوّرها وتسلسلها . وقد اضاف في الحاشية (ص ٨١) ما هذا نصه الفرنسي :

. « Autre sens curieux qui nous a été signalé par le professeur Massignon : « Etre piqué par un serpeut ».

وهذه ترجمته : « هناك معنى آخر (لهذه المفردة) غريب في بابه ، دلنا عليه الأستاذ ماسليون . وهو « لدغته الحية » . أما نحن فنقول : الغريب كل الغرابة عندنا هو كيف ان صاحب هذه المقالة وهو لبناني ، أو سوري ، لغته العربية ، قد جهل وجود هذا المدلول ، فدله عليه رجل اجنبي . مع ان هذا الفحوى وارد في أصغر المعاجم المدرسية ، مثل معجم Belot العربي – الفرنسي . واما الأستاذ الأجنبي الذي نبهه عليه ، فقد فاته من الفرق الواقع بين مداليل « سلم » . وقد فاته السر الذي كشفناه في كلامنا الوارد في المتن وهو ان « سليم » لايدل على « لدغ الحية » من باب الاشتقاق ، او تطور المعاني ، بل من باب التمريض ، والتفاؤل (اللسان ١٨٤/١٥ . والتاج ٣٣٩/٨ و ٣٤٣) . وهذا دليل على ما ابديناه من ان هذه البحوث المعجمية غير مألوفة عند كل احد ، سواء كان عربياً ، ام اعجمياً ، ام صوفياً . لأن هؤلاء المستعربين ، او المستسبعين ، او المستشرقين ، لكونهم أغراباً ذوي عقليات مغايرة لعقليتنا الشرقية السامية ، ولخلوهم من الالهام اللغوي ، السامي ، العربي ، الغريزي فينا ، فيما ينوط باسرار وخصائص لغاتنا السامية ، ولا سيما —

بعد هذا البسط والتمييز بين مختلف معاني ، «سلِم» في اللغات السامية ، ينبغي لنا عرض مفاهيمها في العربية ، والملاءمة بينها .

«سلِم» (سلبياً) : برئ من الآفات والعيوب . و (ايجابياً) : كان صحيحاً ، معافاً . و — له الضيعة : خلصت ، أي نُزع كل مانع عن ملكيتها .

«سلّم» : خلّص وأنجى . و — الشيء : أسلفه ، أي قدّم سابقاً من السلعة وغيرها الى أجل مسمى . وفي كل تسليم يفترض ، من الجهة الواحدة ، النزع ؛ ومن الجهة الأخرى ، التقديم . لأنه اذا قدّم الشيء الى واحد ، فقد سبق نزعه عن الآخر . وسلّم فلاناً وعليه : قال له : سلام عليك ، أي تمنى له التنزه عن كل آفة ، ومن ثم الوجود في حالة الصحة والرفاه الناجم عنها الاطمئنان والأمان . وسلّمه اللهُ : وقاه من الآفات . وسلّم اليه : انقاد . والانقياد قائم على تجرد المرء من ارادته أو حريته ، ووضعها تحت تصرف الغير . وسلّم فلاناً : اذا أخلى بينه وبين من يريد النكاية به ، أي خانه . وذلك متوقف على نزع الشخص من مكان أو حال الأمان ، والقائه في موطن الخطر والتهلكة .

أسلَم : أسلف . وأسلَم : دان بالدين الاسلامي . ومعنى الاسلام : الكفران بالذات ، وتقديمها لله تعالى بالطاعة والخضوع لإرادته الإلهية . وتسلّم منه : تبرأ ، أعني نزع ذاته عنه . وتسالم الرجلان : تصالحا ، أي وضعا بينهما

— العربية ، نرام أحياناً ، مع غزارة معارفهم ، ومتقن أساليبهم العلمية ، التي نستحسنها ونقدرها حق قدرها ، نرام احياناً ، أقول ، « يغرقون في طاسة ، أو قدح من الماء » ، حسب قول علامتنا المرحوم الأب انستاس الكرملي العراقي . وعلى هذه الشاكلة حال ناشري « القصائد الوأوائية » ذوي الأرائة الدمانية ، في القصور العظمية ، الدمشقية ، فان المعجميات ، والثنائيات ، والأسنيات ، والساميات ، لمن الأمور التي لا يعلمون ، فهي شأنها « من أين تؤكل الكتف » .. ولا عجب في ذلك فان لكل امرئ مهنته واختصاصه ، فعلى كل واحد اذا أن يهتم بما يعنيه ، لئلا يضطر غيره ، عن كره منه ، الى ان يسمعه ما لا يرضيه ، كالمثل القائل : « هذا ليس بعشك فادرجي ... » .

السلام وهو التنزه عن القلق والاضطراب . وتسالمت الخيلُ : تسايرت ، لا يهيج بعضها بعضاً .

سلمته الحيةُ : لدغته . من باب المعاكسة ، أو التعريض ، أو التفاؤل . و — الدلوَ : فرغ من عملها وأحكمها . من Shallèm السريانية : أكمل ، أنجز . وسلم الجلد : دبغه بالسَلَم . والسَلَم شجر من العضاه يدبغ به . وغاية الدبغ حفظ الجلد من الفساد .

استلم الحجر الأسود الذي في حائط الكعبة : لمسه بالقبلة ، أو اليد ، أو الصولجان . واللفظة من مقلوب «سلم» وهو «لمس» وهذا الثلاثي مشتق من الثنائي «مَسّ» ومثقله «مسّ» بزيادة اللام تنويعاً . والمسّ هو المسح أي الافضاء باليد دون حائل .

السَلام : اسم من التسليم . و — الانقياد . و — اللديغ ، من باب التفاؤل . و — التحية ، أي تمني الراحة والاطمئنان . والسلام : من أسماء الله تعالى ، لسلامته من النقص والعيب والفناء . وهو مصدر . هذا هو التأويل الجاري لكنه غير صائب . والأصوب أن يقال : لأنه عزّ وجلّ يسلِّم أي ينزِّه الغيرَ ، أعني خلائقه من الآفات . اذ ان السلامة تُطلق على من يتوقّع له الآفات . والقابل لذلك بطبعه الضعيف . وأما الله فلا يتوقّع له مثل ذلك . لكونه من طبعه منزّهاً عن الآفات . فلا يتمنى له السلامة أو النجاة منها .

السُلَّم : المرقاة ، من خشب ، أو حجر ، أو مدر . لأنه يسلّمك الى حيث تريد من الأمكنة العالية ، فترجى به السلامة والأمان . و — السبب الى الشيء .

السليم : اللديغ والجريح المشرف على الهلاك . من باب التفاؤل .

* * *

خ — سبح

في مداليل هذه المادة يظهر شيء من التناقض . اذ أنه من الناحية الواحدة يدل « سبَح » على العوم ، أي الحركة والسير في الماء . وفي خارج الماء ، على الانتشار في الأرض . ومن الناحية الأخرى يطلق على السكون والنوم . ثم ان مزيده « سبَّح » يعني تمجيد الله ، والتهليل ، والتعظيم . اما في اللغات السامية الأخر ، فلا دلالة للمادة المذكورة ، على السباحة ، والسير ، والسرعة ؛ بل في كلها محصورة الكلمة في محاوي التمجيد والتعظيم والدعاء . ففي العبرية Shâbayah : مجد ، بجّل ، قدر ، أصلح . وفي السريانية Shabbah : سبَّح ، عظَّم ، ارتأى ، اعتقد . وفي الاكدية Suppu : عظمة ، تمجيد . وفي الحبشية Sabha : سبَّح ، مجد .

هذه المادة أو هذا الأصل الثلاثي ناشئ عن الرس الثنائي « سَحْ » ومثقله « سحّ » وممدود أوله « ساحَ » وممدود ثانيه « سحا » ومكرره « سَحْسَحْ » ففي « سَحّ » معنى الجريان ، وانصباب الماء والدمع . وفيه أيضاً مدلول الضرب والجلد ، والسمن والامتداد والانتشار . وفي « سحا » دلالة القشر ، والحلق ، والجرف . والساحية : السيل الجارف . وفي « ساح » معنى جرى الماء على وجه الأرض ، ثم معنى ذهب في الأرض للعبادة . وساح النهرَ : أجراه . وتسَحْسَحَ الماء : سال من فوق . والسَحْساح : الشديد من المطر .

في كل هذه الثنائيات ومتفرعاتها يُرى ان المفهوم الشامل هو « السيلان » سيلان الماء أو الجري فيه . ومن الهين ادراك المدلول في الثلاثي « سبح » أي جرى مع الماء ، وعلى الماء منبسطاً . وكل من انبسط في شيء فقد سبح فيه . والسَّبْح : المرّ السريع في الماء والهواء . ويستعار لمرّ النجوم ، وجري الفرس ، وسرعة الذهاب في العمل . واذا كان السابح ينبسط أحياناً على وجه

الماء ، جاء « سبح » بمعنى : سكن وهدأ . ودل أيضاً على النوم : لأنه في النوم هدوء وسكينة . ولما كان من جملة أعمال السابح أن يحرك أحياناً أخرى بدبه ورجليه ، ويضرب على الماء ، تولد من ذلك دلالة « سبح » على الضرب والجلد . وعلى التقلب ، والتصرف في الحياة والمعاش ، وعلى الاكثار من الكلام ، لأن الثرثار يظهر كأنه يسبح في الخطل ، كالسابح في الماء . ولكون السابح يسير في الماء الى مسافات شاسعة ، أطلقت « سبح » على السير ، والابتعاد ، ومن ثم على الإبعاد . والسُّبْحة : ثياب من جلود . لأن الجلود تسحى وتقشط . وكساء مسبَّح : قوي شديد . لأنه من جلود . وفي الجلود قوة وصلابة .

سبَّح فلانٌ : صلَّى . و — اللهَ : نزَّهه . والسابح : العائم في الماء . وفرسٌ سابح : سريع . والسوابح : الخيل لضاهاتها السبَّاح . السُّبُّوح : من صفاته تعالى . لأنه ينزَّه من كل سوء . سبحان الله : أي أبرئ الله براءةً من كل سوء .

السُّبْحة : الدعاء . و — صلاة التطوع ، أي النافلة . لأنه يُسبَّح فيها .

السَّبوح : فرس غير مضطرب في جريه .

قلنا : انه ليس في اللغات السامية الأخر ثلاثي مجرد يقابل « سبح » بمعانيه التي تدل على العوم والسير والسرعة وأمثالها . لكن قد ورد فيها ما يضاهي المزيد « سبَّح » ويقارب فحاويه : أي سبَّح ، رتل ، مجَّد ، حمد . وفي السريانية ، يضاف مدلول اعتقد . ولربما دخل هذا الوزن وتوابعه من العربية في السريانية والعبرية . أما العربية ففيها الثلاثي المجرد ، ومزيدان مما : أسبَح وسبَّح .

على أن المشكل متوقف على التضارب بين مدلولات « سبَح » و « سبَّح » هذه الصعوبة تزول اذا تتبعنا سير الاشتقاق من الثنائي « سَحْ » الى الثلاثي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« سبَح » والى مزيده « أسبَح » ومزيده الآخر « سبَّح » فقد رأينا ان « سَحَ ، وسحا ، وساح ، وسَحْسَح » تحوي معنى عامًا هو معنى الجريان . فهذه الفكرة انتقلت متطورة الى الثلاثي الذي زيد فيه الباء اقحامًا ، فأطلق على جريان الانسان وسيره وانبساطه في الماء . وفي الجريان أو السَّبح تلقى فكرة الابتعاد : ومن ثم الإبعاد . وهذا بدء مفاهيم « سبّح » . ونقول : « سبّح الله » ونريد بذلك تنزيهه أو ابراءه ، أي ابعاده عن النقص والسوء . وهذه أيضاً دلالة سَبْحن ، وسُبحان ، وسبحل . ومن هذه المناة نشأت المداليل الأخر مثل : عظّم ، مدح ، مجّد ، ويشمل جميعها الدعاء والصلاة . ثم ان تمجيد الله وتسبيحه فعل ديني ناشئ عن الايمان به تعالى . لأن من لا يؤمن بالله ، لا يمجده . ولذا دلّت « شَبَّح » في السريانية على الاعتقاد ، أو الايمان .

وأنت ترى أيها المطالع والباحث اللبيب ، كيف سهل التوفيق بين هذه المفاهيم المتضاربة ظاهريًا ، وذلك ببدء الاشتقاق من الثنائي « سَحَ » ومتفرعاته ؛ وبالتطرق الى الثلاثي « سبَح » بمعنى جرى ، وسار ، وابتعد في الماء ، ثم في البر والجو . وأخيراً بالبلوغ الى المزيد « سبّح » المراد به تنزيه الله ، أي ابعاده عن كل العيوب ؛ ومن ثم تمجيده وتعظيمه بالايمان والصلاة .

وكل هذه النماذج ، وغيرها كثيرة جداً ، من مواد معجمنا « الثنائي » تبين فضل الثنائية على المعجمية ، وتفوّقها على نظرية « الثلاثية » .

الأب مرمرجي الدومنكي

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ٩٤١ هـ -- ١٥٣٤ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

١ — نظرة عامة

مضى[1] الكلام على تاريخ علم الفلك في عهد المغول والتركمان . والآن أتناول علم الفلك في العهد العثماني . وتاريخ هذا العلم متواصل ، وصلاته بالعهود السياسية قليلة . وانما جرى على اطراده بحكم قانون الاستمرار الا أن حالته تكن أحياناً وتظهر أخرى . وجلّ ما هنالك أن هذا العهد عدمت العلوم فيه من المناصرة عندنا ، ولم تبق الا المدارس وسيرتها المعتادة في التدريس .

ولم يخل العراق من زعازع وحروب طاحنة جداً بينه وبين ايران . فانتهبت الأيدي العابثة ما تمكنت عليه من كتب ، الا أنها في عهد المماليك من سنة ١١٦٣ هـ أو من تاريخ وفاة نادر شاه سنة ١١٦٠ هـ هدأت نوعا وان لم تخل مما يتخللها من أيام اضطراب دام الى سنة ١٢٤٧ هـ . ثم حصل تشوش في الحالة تارة وطأنينة أخرى حتى حدث احتلال بغداد سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م ، فانتهى العهد العثماني .

أحاول في هذه العجالة أن أبين ما جرى على علم الفلك خاصة ، فأوضح تاريخه في العراق مع ملاحظة صلاته بأصل الدولة ، وما جاوره من أقطار

(١) راجع المجلد (الثامن والعشرين) ص ٧٩ و ص ٢٥٧ و ص ٤٢٠ .

وما شوهد من أثر أو تأثير لنكون على بصيرة من تطوره ومعرفة مجراه في سيرته العلمية . وكفى أن نقف على المعرفة الضرورية المطردة دون توغل ، والاحتفاظ بالموجود من الآثار .

رأينا بعض المؤلفات التي خدمت التدريس ، فلم يتجاوزها المتعلمون ولا العلماء الا قليلاً . نجدهم رعوها بالشرح والتعليق . وليس في هذه تمكن عظيم في التأليف والنبوغ فيه كما هو الشأن في سالف العصور . وفي أوائل هذا العهد خذلت المعرفة البحرية وأصابتها نكسة على يد البرتغال فأثرت في التجارة وأخلت بالحالة الاقتصادية فتحولت الصلة الى الغرب ، وفقدت الرغبة في الفلك وما يتعلق به من علم البحار . وصارت المخلفات السابقة صعبة الأخذ . وانما مال القوم الى مختصرات لا تفي بالغرض .

وفي القرن الثاني عشر حصل تجدد في الفلك والرياضيات ، وصار يقتبس من الغرب بأكمل وجه ، ونقلت أزياج الى التركية وعلوم رياضية وفلكية أخرى . وهذه أثرت في ثقافة القرن الثالث عشر وتوالت في الدولة بل تجاوزتها فتمكنت في مصر والشام ...

جرى الاصلاح وسار على وتيرة الا انه لم يستفد من هذا العلم كثيراً . وان الأرصاد في استنبول ومصر وفي بيروت لم تكن مقرونة بعمل ، فلا تجربة ولا قوة ولا نشاط ...

ولم تفد الرياضيات في العمارات ولا بناء الجسور والقناطر ولا الخزانات ولا تسوية الطرق ولا غير ذلك . وربما استخدمت لمصلحة الجيش بصورة ضئيلة ...

وهذه الفترة قضاها العالم الاسلامي والعربي في تطاحن فقضى به على ما عنده ، وصار أقرب الى الجهل . واستعراض حالة مثل هذه أجدها ضرورية في معرفة حالة الثقافة الفلكية مهما كان وضعها فنعلم مجاريها ...

والعراق لايزال يحوي جملة كبيرة من آثار أسلافه لهذه العهود وما قبلها

وان كان ذهب أكثرها ولم يبق الا القليل . وصرنا نلتمسها من خزائن الشرق والغرب . وهذا يقال في الشام ومؤلفاته ؛ فلا تزال بقية باقية يجب أن نتدارك أمرها . ولا شك أن غذاءنا العلمي مستمد من هذه الآثار ومن بصيص في المعرفة . ففي أيامنا الأخيرة اشتهر أفاضل وان كان الأمر لا يخلو من نقص في تقليل شأن المعرفة ، وفي العناية بالآلات المطلوبة . وفي هذه كلها حرمنا مما حدث من تجدد . ومع هذا نذكر رجالنا بأطيب الذكر من جراء أنهم حفظوا تراثنا .

ولا يكفي هذا الاجمال . ومن الضروري الدخول في التفصيل بقدر مع العلم لأن التتبع يحتاج الى تعاون ولأن الوثائق لا يزال بعضها في طي الخفاء . وجل أملنا أن تظهر ليكشف عن مبهم فينجلي حال العلم بوضوح . وبهذا تتكون صلة الماضي بالحاضر .

٢ — المصادر التاريخية (للفلك)

يصعب كثيراً أن نعين مصادر البحث للعهد العثماني بحيث تصلح أن تكون عامة وان كنا طرقنا أكثر ما ينبغي طرقه لمحاولة المعرفة من جميع وجوهها . وبؤسفنا أننا لم نعد الا القليل ، ولم ندرك الا النزر . فهل كان ذلك لنقص في المخلفات أم لأنها مختفية عن الأنظار ، أم أصابها التلف .

كل هذه الاحتمالات واردة . ومن المهم أن نقول اننا لم نجد ما نعتمده أو نعوّل عليه من المصادر العامة . وانما كتبنا الموضوع بالاستفتاء من مختلف الآثار الخاصة في تواريخ الأشخاص وما قيل في مؤلفاتهم . وهذا غير مسبوق بغيره فليعذر المرء اذا وجد نقصاً ، ولعله يسعى جهده لإكماله ... والغرض تثبيت (التاريخ العلمي في العراق) ومنه (تاريخ علم الفلك) . وقد قيل قديماً

«العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك» . بذلنا جهوداً كثيرة . والأمل أن نقطع مرحلة في طريقنا نوضحها للسالك .

ومن أهم ما يعد مرجعاً خزائن الكتب بوجه عام ، ومن أجل ما هنالك (كتاب عثمانلي مؤلفلري) تعرض للتاريخ العلمي وبصر بالأشخاص . ومثله لعهد قصير كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية . وما جاء بعده من كتب الطبقات العثمانية ، وكتب التاريخ للتعرف بالمؤلفين ومن بينها كتاب سجل عثماني . وكل هذه لم تفرد موضوعاً الا أننا وجدنا بعض التراجم مفرقة فيها ورأينا كل الصعوبة في معرفتها .

ويصعب تعداد جميع المؤلفات . والغرض تاريخي لاعلاقة له بتفصيل (مادة الفلك) والرياضيات فقد توسعت كثيراً ، وزادت المؤلفات فيها . وكلها تكشف صفحات نافعة . ومطلبنا محدد في التاريخ وعلاقتنا به قليلة جداً فيما يخص الموضوع . وان ذكر الأمثلة والتوسع فيها خروج عن المطلب التاريخي وذلك يحتاج الى تبسط يخص أهل الفن كما فعل الأستاذ طوقان في كتابه (تراث العرب العلمي) أو كما فعل الأستاذ صالح زكي في كتابه (قاموس الرياضيات) و كتابه الآخر (آثار باقية) .

ومن المصادر الصالحة للأخذ (تحفة الكبار في أسفار البحار) لكاتب چلبي ، و (قاموس الأعلام) لشمس الدين سامي ، وأوليا چلبي في رحلته ... ومؤلفات (سيدي علي رئيس) .

٣ — علم الفلك في العراق

ان هذا العلم له صلة أكيدة بالعلوم الأخرى . فقد مضى في سبيله باستمرار . وكان غذاؤه في الدرجة الأولى (كتب الهيأة) في عهد المغول والتركمان ،

وكذا المؤلفات السابقة . وكانت المدارس العلمية تمد بالمعرفة المنظمة . وكان سائراً في نهجه العلمي الا أنه حرم من المناصرة الكبيرة ، ولم يجد بذلاً زائداً في بناء رصد أو مساعدة العلماء .

وجلي ما هنالك أن الاتصال العلمي لم ينقطع كما في عهد المغول والتركمان ومن ثم كانت معرفته تحكي ما جرى وتمثل ما كان من تطور . وقد غلب عليها (الطريقة التعليمية) لا الابداعية (العلمية) ، فالمواهب لم تبرز وتظهر ظهورها في تلك الأقطار المناصرة لتقدم هذا العلم . صارت بغداد تابعة للأقطار منقادة لعلومها وتحقيقاتها وان كانت المادة منها . صارت تأخذ عن العثمانيين والايرانيين وتقوي ما عندها ، وتجدد النشاط . لم يصبها الخمول الا أنها لم تكن مرجعاً للأقطار بل صارت تلك الأقطار مرجع المعرفة لها .

نشاهد ذلك من أيام انتشار مؤلفات الطوسي وأضرابه ، ومن نقل بعض كتب الفلك الفارسية مثل تاج المداخل . والصلات بالأقوام أدت الى الاحتفاظ بهذا العلم المتجدد . ولم يغفل العراق هذه الخطة فكان في صلة تطميناً للرغبة العلمية بواسطة المدارس التي لم تنفك عن تدريس هذا العلم .

وفي هذا العهد نذكر علاقاتنا العلمية بالفلك في المدارس والاشتغال العلمي ، والاتصال بمتجددات الفن . وأكثر ما تظهر العلاقة بالعثمانيين ، وكانت سلطتهم واسعة تتناول جميع الأقطار العربية وتتصل بالغرب من جهة ، وبالايرانيين من أخرى . ويكانوا يناصرون العلم كدولة مستقلة لها تشكيلاتها العلمية الخاصة وكيانها المعروف .

والسياسة والحروب لم تدع مجالاً للعثمانيين ولا للايرانيين أن تتقدم العلوم في أيامهم . وانما ابتلعت الحروب خزائنهم ، فباؤوا بالفشل وتسلط عليهم الغرب . وصاروا تلامذة الأمم الأخرى . وهذا الأمر غير مشرف للعراق في الأخذ والاقتباس العلمي . وانما كان ذلك تابعاً للأصل وهو كذلك .

وهذا لم يمنع من الاتصال والمعرفة ولو قليلاً . والغرض الاطلاع على ما جرى . وليس من شأننا العويل أو البكاء على الوضع العلمي والأيام دول . والضرورة التاريخية تدعو أن ندوّن هذه الصفحة بآلامها للاطراد في المباحث ، ومعرفة المكانة العلمية لهذا العلم خاصة في العراق وما أمكن معرفته من اتصاله بالفلك وعلومه .

وأكثر ما نحاول تدوين العلاقة بنا ، المتصلة اتصالها الأكيد . فاذا بحثنا عما عندنا توضح أكثر . والملحوظ ان المعرفة العلمية متمكنة لا تشوبها شائبة تعصب . ولم يمنع العلماء أن يأخذوا عن علماء الدولتين وان كان العثمانيون أكثر صلة بنا ، وهم أهل الدولة الحاكمة المتسلطة . والايرانيون مجاورون ومتداخلون من جراء الاتصال بالعتبات المباركة وبطريق الحج .

وفي هذا العهد نراعي الأدوار التاريخية على ترتيبها السياسي في تاريخ العراق لنكون على صلة بالأوضاع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhr.com

١ ـ العهد الاول : (الفلك في العراق)

من سنة ٩٤١ هـ ــ ١٥٣٤ م الى سنة ١١٦٣ هـ ــ ١٧٥٠ م

يهمنا اتصالنا العلمي بالفلك . وان التأثير الخارجي لا يؤثر التأثير التام كتأثير المدارس وخزائن الكتب والاتصالات المباشرة في (المجالس العلمية) والبحوث رأساً في الموضوع . وان المؤلفات المنتشرة بين ظهرانينا من اعظم الدلائل على الاتصال العلمي . ولم نقف مكتوفي الأيدي من مؤلفات المعاصرين التي أصبح لها شأن .

ولعل أحد الأسباب المهمة في ضياع الاشتغال أو عدم الامكان من المعرفة هو كون بعض الآثار واختفائها ، ولم نجد من آثار زعزع هذا العلم ، أو تصدى

للتدوين لنكون على بيّنة من ماضينا . ولا شك أن العلوم المتداولة مثل ملخص الهيأة للجغميني وشروحه معروفة كثيراً وكذا الحواشي على تلك الشروح .

ومن مراجعة خزائن الكتب الموقوفة نشاهد مؤلفات كثيرة منها مدرسية ومنها علمية ، فلا يقال ان العراق جمد جموداً كبيراً ، فصار لا حراك به ، بل ان انتشار مؤلفات الفلك بين ظهرانينا تعين قيمة الاشتغال والرغبة فيه .

سيدي علي رئيس الفلكي البحري في بغداد

يعدّ من الأحداث المهمة في بغداد ورود سيدي علي رئيس في سنة ٩٦١ هـ — ١٥٥٣ م . وورد بغداد ليتولى ادارة الأسطول العثماني الرامي في البصرة ، ويقوم بمنصب قائد الأسطول المصري ، فذهب بعد وصوله الى البصرة فحدثت بعض الوقائع في شط العرب وما جاوره من تلك الأنحاء . ثم انه أصلح السفن الموجودة وسار الى مصر وفي طريقه اصطدم بأسطول البرتغال في معارك طوحت به الى ساحل الهند فساعدت العدوّ زوابع قوية كانت أشد صولة فأغرقت سفنه أو ضعضعتها ، فالتجأ الى من هناك من المسلمين ...

عثر على رسائل في علم البحار وما يتعلق بالفلك شاهدها في تلك الأصقاع . فوجد ضالته فيها ، فنقلها الى التركية في مجموعة سماها بكتاب (محيط) حوى رسائل العرب وكان يأمل أن تعود دولته الى تلك الأنحاء فتكون على بصيرة من السير في تلك البحار لمقارعة البرتغال ، ولكن سفرته هذه كانت الأخيرة . وبقي أثره خالداً . ولم يطبع لأن دولته لم تجد حاجة اليه للدوام في حروب تلك الأنحاء مع أن ترجمته الى الألمانية من الأستاذ همّر الألماني قد طبعت ، فبينت (ثقافة العرب البحرية) في تلك الأنحاء واتصال الترك العثمانيين بها .

وكان مسبوقاً بمحارة عثمانيين الا أنه فاق بما خلّد من هذا الأثر العظيم . وله مؤلفات عديدة في علم الفلك منها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ — اسطرلاب .

٢ — ربع الجيب .

٣ — عمل الضرب بالجيب .

٤ — المقنطرات .

٥ — دائرة المعدل .

٦ — ذات الكرسي .

٧ — كل هذه جمعها في كتاب (مرآة الكائنات) في خمس مقالات و ١٢٠ باباً وكتبه باللغة التركية ، ومنه نسخة في خزانة أياصوفيا .

٨ — ترجمة تحفة في الهيأة نقلها من الفارسية الى التركية . منها نسخة في خزانة بشير أفندي .

٩ — محيط في علم البحار . مرت الاشارة اليه . ومنه نسخة في خزانة روان وأخرى في عثمانية .

١٠ — خلاصة الهيأة . ترجمة ملخص الهيأة الى التركية . منها نسخة في دار الكتب المصرية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا ولابن سيدي علي رئيس (مرآة الكائنات في العمل بالآلات الفلكية) شرحه محمد أمين ابن الحاج عبد الرحيم في ٢٧ مقصداً ، سماه (المقاصد الجلية في حل الآلات الارتفاعية) . وبيان الوضع البحري وعلاقته بعلم البحار [1] .

والملحوظ أنه بعد أن اتصل سيدي علي رئيس بملوك الهند ، ونقل الى التركية (رسائل العرب) [2] في علم البحار في (محيطه) استمد لاحضار ما يلزم من معرفة علمية لمثل دولته تعيد الكرة ، وكتب رحلته (مرآة الممالك) وفيها قص حياته ، وهي مهمة جداً [3] .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين المجلد الرابع في صفحات عديدة منه . وفيه تفصيل.

(٢) هذه طبعت في مجلدين في باريس عدا الترجمة الى الفرنسية .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٨ وفيه تفصيل .

أثرت هذه الغلبة في التجارة ، فوقفت مدة . فتأثرت الحالة الاقتصادية وأصابها ركود عظيم بل اختلت . ولم يستعد العرب العلاقة بالهند الا من طريق الغربيين ، فكان ذلك ضربة قوية على التجارة في الشرق . ويهمنا الكلام على البحرية وهذه ماتت عند العثمانيين في بحر الهند ، ونشطت للبرتغال ، ثم خلفتها بحرية الهولانديين والانكليز وغيرهما .

والفلك لم يتقدم في هذا العهد الا تقدماً قليلاً عند العثمانيين . وفقد عندنا مزايا كثيرة منها أننا لم نر حاجة اليه . وليس لدينا رصد . وفي الجوامع بعض موقتين جروا على تقليد من سبقهم وغالبهم يراعي موضوعه الا أن هذا تابع للقدرة الشخصية ولم يظهر عندنا من تلتفت الأنظار اليه ، فيؤلف تآليف نافعة تعدل في الوضع أو تبدل فيه تبديلاً مهماً . وقد قيل الحاجة أم الاختراع .

دام ذلك بانحطاط لما أعقب الوضع من اضطرابات عديدة داخلية وخارجية ، والخلال في الادارة ، فشغل الناس بأنفسهم ، ولم نجد مدونات الى أن دخل السلطان مراد الرابع بغداد ، واستمدادها من ايران بعد حروب قاسية وتدمير ماحق حتى سنة ١٠٤٨ هـ — ١٣٦٨ م . واذا كانت هناك مؤلفات فهذه انتهبتها الايدي العادية ، فلم تظهر أو لا تزال في زوايا الخفاء .

وجل ما علمنا أن العلم انحط . ونرى في البصرة من كتب لحسين باشا آل افراسياب كتاباً في الطالع عندي مخطوطة منه ناقصة الورقة الأولى وليس فيه من القدرة العلمية ما يستحق بها الذكر الا أنه صفحة من عقلية ذلك العصر .

وعندي مخطوط يسمى (بلوغ الأفهام في معرفة أقسام العام) كتبه باسم حسين باشا آل افراسياب كتب في شوال سنة ١١٢٢ هـ ولم أقف على اسم مؤلفه . ولم يبق ببغداد من كان له الشأن الكبير في تدريس هذا العلم ، فترى الأستاذ الشيخ عبد الله السويدي لم يستطع أن يبرد غلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من علم الفلك ممن كان في بغداد من العلماء ، فاضطر أن يذهب الى الموصل ليدرس الحكمة والفلك كما تنطق بذلك رحلته . قال : « سافرت الى الموصل سنة ١١٢٧ هـ لتحصيل علم الحكمة والهيأة فبقيت في الموصل ١٣ شهراً حتى أكملت جميع الفنون . » اهـ [١] .

ومما قرأه من كتب الدرس في الفلك ما أشار اليه في رحلته . قال :

« وأخذت علم الهيأة ، ورسائل الاصطرلاب ، وربع المجيب ، وذات الكرسي عن البحر الجامع ، والغيث الهامع عن سيدي (سليم افندي الموصلي) . وأخذت الحساب عن أخينا (الشيخ حسين) قراءة عليه (شرح الزمزمية) . وعن (الشيخ سلطان) قرأت عليه وعلى غيره خلاصة الحساب للبهائي . وأخذت الهندسة عن المصريين ... » [٢] .

ومن هذه نعلم أن علماء ذلك العصر (سليم أفندي الموصلي) ، و (الشيخ حسين أفندي) ، و (الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري) وغيرهم ولم يستقص اسماءهم وهم مدرسون ولم يكونوا فلكيين . فلا شك ان هؤلاء علماء الفلك والرياضيات ، وان الكتب المقروءة التي سردها منها كتب البهاء العاملي ، وشرح الزمزمية ولم يعين باقي أسماء مؤلفيها . وبعضها لا يمكن بيان اسم مؤلفه لوجود نسخ عديدة لمؤلفين مختلفين في نفس الموضوع . ولا تتضمن هذه المؤلفات أكثر من تكرار المعروف الا أن بعضها أهملت جادة تدريسه في مدارسنا . وكتب البهاء العاملي كانت تدرس في هذا الحين .

ومن المؤلفين في هذه الحقبة (مرتضى آل نظمي) . وله (رسالة المقنطرات والجيب) . ومن هذا الكتاب نسخة مذهبة مجدولة في مكتبة محمد عاصم بك

---

(١) النفحة المسكية في الرحلة المكية ص ١٢ .
(٢) كذا » » » ص ٢٦ .

من خزانة كوپريلي . كتبها باللغة التركية تيمناً لرغبته الأدبية في التدوين والا فان التدريس كان باللغة العربية .

ومرتضى آل نظمي مؤرخ عراقي معروف . جاءت ترجمته في تاريخ العراق بين احتلالين وتوفي سنة ١١٣٦ هـ [١] .

ومن هذا كانت معرفتنا بعلم الفلك ورجاله قليلة جداً ، فعرفنا من مدرسيه والآخذين عنهم والمؤلفين فيه جماعة . والطريقة في التدريس جارية على ما هو متبع ومنقول من الرحلة أو ما يشبهها الا أن شيوع التدريس حدث فيه تبدل قليل . والملحوظ أن هناك كثيرين لم يشتهروا بأكثر من التدريس وبوجه عام لم نشاهد من انصرف لهذا العلم ، وانما صار يلتمس من الموصل لبقايا عهدت في رجالها ، وهذه صفحة مهمة أماط اللثام عنها (الشيخ عبد الله السويدي) على أنه لم ينعدم منا هذا العلم بل كما قلت (ضعف) .

٢ — عهد المماليك في العراق

من سنة ١١٦٣ هـ — ١٧٥٠ م الى سنة ١٢٤٧ هـ — ١٨٣١ م

ان تقدم العلوم وتكاملها مقرون بالطمأنينة والراحة . وان ما حدث من تبدل في الحكم وانتقاله الى المماليك ، وكذا ما حدث بعد ذلك من نزاع على الولاية لم يهم الا رجال الدولة والجيش . ولم يتأثر بذلك الأهلون الا قليلاً . ولذا لم يطرأ اضطراب قوي يؤثر على حالة العلماء . والعلوم ومنها الفلك هذا شأنه .

ويهمنا الاشارة الى أن الولاة في بغداد لم يعنوا بهذا العلم . وانما سار في تقدمه من طريق المدرسة ، وان الرغبة فيه من أكبر المسهلات لتقدمه . وان الدولة العثمانية شرعت في الاصلاح لضرورة حربية فأنشأت (المهندسخانة) أي دار الهندسة أو (كلية الهندسة) فظهر علماء في الرياضيات والفلك . ولا ينكر

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ في صفحات متعددة منه .

في هذه الحالة أن ينال العراق نصيب من هذه المعرفة ولو من طريق الاتصال بما نشر من مؤلفات .

ومما لا ريب فيه أن تقدمه الكبير لم يظهر في العراق حتى ولا في أصل الدولة . وان المماليك قطعوا أكبر العلاقات من الدولة ، فلم يلتفتوا الى تقدم الفلك والرياضيات . وان الاشتغالات في الفلك جرت على سيرتها السابقة . ومع هذا ظهر بعض الافاضل فدوّنوا بعض الرسائل أو المباحث ، فلم يكونوا بعيدين عن هذا العلم الا أن ذلك محدود .

ونذكر علماء هذه الحقبة ونبين مؤلفاتهم ، وفي ذلك صفحة واضحة للمعرفة على اننا لم نقطع أملنا في العثور على مؤلفات أخرى . ولكنها لا تزيد بأكثر من الأمثلة ولم يكن هناك ما يحقق تعديلاً كبيراً ، ولا ما يدعو لظهور نوابغ خدموا هذا العلم .

ومن البيوت المعروفة بالعلم في هذا العهد (بيت الحيدري) ورد بغداد صبغة الله الكبير بن ابراهيم . وكان يدرس علوم الهيأة ولأخوته علم وفضل ومنهم اسماعيل له شرح على الاسطرلاب للبهاء العاملي . ولابنه صالح بن اسماعيل حواش على خلاصة الحساب . ولعبد الله بن صبغة الله المذكور حواش على الجغميني في الهيأة .

وذكر في عنوان المجد ان لابراهيم بن حيدر والد صبغة الله الكبير من المؤلفات (شرح تشريح الأفلاك) في الهيأة . وذكر لوالده حيدر المذكور (حاشية على أشكال التأسيس) في الهندسة .

وفي هذه المؤلفات ما يعين الوضع بالوجه المذكور فلم يحصل تقدم يذكر في علم الهيأة وما يتعلق به . ومن الضروري التحري عن هذه المؤلفات ومحل وجودها .

وهنا لا نمضي دون الاشارة الى أن الشيخ عبد الله السويدي أخذ علم الفلك عن علماء الموصل وذكر من أخذ عنهم في رحلته . ولكنه لم يعرف لهؤلاء الا تدريس هذا العلم . وهو أيضاً أخذ الا انه لم يبد له تأليف في موضوعه .

فقد احتفظوا بدرسه وتدريسه ووقفوا عند ذلك . ولعلّ هذا مما مكن هذا العلم فصار يقرأ ويؤخذ من العلماء ، فدبّ النشاط وتوالى التأليف ... وذلك في عهد ما قبل المماليك . ثم تمكن في أيامهم وظهر الاشتغال به والتأليف في مطالبه ...

ومن علماء هذا العهد من قد تبع رغبته ودوّن بعض المؤلفات غير من ذكروا :

١ — السيد عبد الله الفخري :

هو أبو محمد من آل الفخري الأسرة الموصلية المعروفة كان كاتب الانشاء ببغداد في أيام المماليك ومقدماً عند الوزراء بعيد الصيت في الآداب العربية والتركية . جاءت ترجمته في الروض النضر ، وفي منهل الأولياء ، فهو أديب كامل . ومثله ابنه اسعد الفخري . قال صاحب منهل الأولياء : « وقفت له على شرح رسالة البهاء العاملي في علم الهيأة ، فوجدت علماً عظيماً وفطنة وقادة وأسراراً غريبة » اهـ . ذكرت ترجمته في التاريخ الأدبي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن مؤلفاته :

١ — شرح تشريح الافلاك . منه نسخة في خزانة الأوقاف من بين كتب السيد نعمان خير الدين الألوسي .

وعليها :

١) حاشية . للشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله السويدي المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ أولها : سبحانك ما أجل صفاتك . أثنى فيها على السيد عبد الله الفخري ولعلها مسودة المؤلف .

٢ — سوانح القريحة في شرح الصفيحة في الاسطرلاب للعاملي . أولها : تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ... وهذه النسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الألوسي . كتبت سنة ١٢٤٠ هـ بقلم الأستاذ السيد محمود الألوسي . ومنها نسخة أخرى في الخزانة المذكورة ليس لها تاريخ .

٣ – رسالة في كيفية العمل بالصفيحة . منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الألوسي .

توفي سنة ١١٨٨ هـ – ١٧٧٤ م .

٢ – الشيخ عبد الرحمن السويدي :

هو ابن أبي البركات الشيخ عبد الله السويدي . ذكرته في التاريخ الأدبي . ولد سنة ١١٣٤ هـ – ١٧٢٢ م . وله من المؤلفات في الفلك :

١ – حاشية على شرح تشريح الأفلاك للسيد عبد الله الفخري . منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة كما أشير الى ذلك .

٢ – حاشية على شرح الملخص في الهيأة . ولم يتعين لنا صاحب الشرح . ولا شك أنه شرح قاضي زاده فهو المتداول . أولها : الحمد لله الذي جعل لنا الأرض مهاداً ... وهي تعليقات على بعض المباحث المغلقة . كتبها بطلب من أخيه الأصغر شهاب الدين أحمد بن أبي البركات الشيخ عبد الله السويدي . منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الألوسي .

وتوفي في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٢٠٠ هـ – ١٧٨٦ م . وترجمته في المسك الأذفر [١] وفي سلك الدرر [٢] وفي التاريخ الأدبي .

٣ – أحمد بن محمد بن خضر البغدادي :

لا نعلم عن حياته أكثر من معرفة اسمه ، وانه كان في أيام داود باشا . وله :

١ – نقش الصفيحة . شرح الصفيحة في الاسطرلاب للعاملي . قدمها الى داود باشا وزير بغداد وأطرافه . كتبت بقلم المؤلف سنة ١٢٣٨ هـ – ١٨٢٢ م ونسختها الأصلية في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الالوسي .

(١) ص ٦٥ .
(٢) ج ٢ ص ٣٣٠ .

٤ — محمد أمين السويدي :

ذكرته في التاريخ الأدبي . وله من المؤلفات :

١ — الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت .

٥ — صالح السعدي الموصلي :

أديب كامل ، وهو عارف بالفلك متقن لمطالبه . ذكرته في التاريخ الأدبي وفي تاريخ الخط العربي في العراق . ومواهبه جمة ، وعلمه غزير .

وله من المؤلفات في الفلك :

١ — حاشية على الجغميني في الهيأة . وهذه حاشية على شرح الملخص في الهيأة لقاضي زاده الرومي .

توفي شهيداً سنة ١٢٤٥ هـ .

٦ — محمد بن عبد الله الزيارتي :

أخذ عن أستاذه المشهور يحيى المزوري وكان قرأ عليه الملخص في الهيأة . وشاهد المسألة الشميرية من أعوص المسائل . فكتب فيها رسالة أولها : الحمد لله الذي أقام السماوات بأمره ... قدمها الى داود باشا والي بغداد . وعندي مخطوطتها برقم ١٤٩ .

وهو صاحب كتاب (توحيد الصانع ببرهان التمانع) . ذكرناه في كتب العقائد . قدمه الى داود باشا وأطرى أيضاً أستاذه المزوري .

(يتبع) عباس العزاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

— ٦ —

٤ — ابن عطية :

يتكلم ابن عطية المفسر (٥٤٢هـ) في تفسيره (Ms Berlin Spr 408) عن الإعجاز وقد ذكر رأيه السيوطي (الإتقان ج ٢، ص ١٩٨) فقال : «وقال ابن عطية : «الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله فاذا أراد ترتيب اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن الى آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن لا أحد من البشر يحيط بذلك فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال إن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا، وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة احسن منها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحرة وفي معجزة عيسى بالأطباء فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره» .

ويتبين لنا من هذا النص الواضح أنه ينكر الصرفة لأنه ليس في استطاعة العرب أن يحيطوا بالألفاظ والمعاني إحاطة الله ثم هو يجعل النظم دليل الإعجاز

ويعلل بلوغه الغاية في النظم وصحة المعاني وتلاؤم الألفاظ بأنه كلام الله فهو لا يلجأ إلى مقارنته بكلام الناس وإنما يجعل الدليل مدلولاً والمدلول دليلاً فيدور في حلقة مفرغة ثم يرجع ما لا ندرك فيه الغاية في البلاغة من القرآن الى قصورنا لا الى أن في القرآن فصيحاً وأفصح منه كما يرى ابن حزم والخفاجي ثم هو يرى أن العرب زمن النبي كانوا أفصح ممن جاء بعدهم وأبين وأقدر على القول وأعرف بجميله وهذا ما لا أقره عليه كما ذكرت في بدء البحث أثناء الحديث عما دار بين العرب والقرآن .

٥ — ابن رشد :

قال الرافعي في كتابه الإعجاز : « لفيلسوف الإسلام القاضي أبي الوليد ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ كلام حسن في آخر كتابه (فصل المقال) لم نر مثله لأحد من العلماء بين فيه كيف احتوى القرآن الكريم على طرق التعليم المنطقية بجملتها تصوراً وتصديقاً وقد جعل الفيلسوف ذلك من إعجازه وهو وجه لو كان بسطه واستوفاه واستبرأ معانيه لجاء منه بكل عجيب غير أنه رحمه الله أشار اليه في الكلام إشارة وجاء به عرضاً لا غرضاً » ويفصل الرافعي ذلك في ص ٢٨١ من كتابه .

وقول ابن رشد هذا هو من باب مذهب الغزالي القائل بأن القرآن قد حوى مبادئ العلوم كلها ويتصل من قرب بالنظرية العلمية في الإعجاز وليس في هذا القول مؤيد للإعجاز لأنه مجرد تمحك واصطناع للأدلة لما نعلم من أن القرآن لم يأت ليشرح العلوم أو بصدد نظريات المنطق وإذا كان قد استعمل في براهينه طرقاً شرحها المناطقة في كتبهم فذلك لا يعني أنه قصد الى ذكرها

فيه باعتبارها مبادئ علم المنطق وإنما لأن للفكر الإنساني في البرهنة في كل عصر وبيئة طرقه العقلية العامة التي هي قدر مشترك بين الناس والتي وجدت قبل أن يوجد علم المنطق وكان من الطبيعي أن يعرفها غير المناطقة بالبديهة وممارسة الدفاع عن الرأي والاحتجاج له .

تلخيص ونقد :

أختتم هذا العصر بملاحظة أن النظرية العلمية في الإعجاز ذكرت فيه لأول مرة على لسان الغزالي فيمن اطلعت على آرائهم حتى زمنه من الباحثين ثم تلاه في القول بها القاضي عياض ثم ابن رشد الذي وجد في هذا العصر نفسه وتكلم في ناحية منها . ونلاحظ أن الباقين كانوا مقلدين أو جامعين لآراء من قبلهم وأن الزمخشري منهم يقول بإعجاز القرآن من حيث البيان ويسرد رأيه هذا في تفسيره الكشاف ولكنه يقول بأن القرآن حادث ومن غير ذلك لا يكون معجزاً لأن التحدي يبطل حينئذ ولا يصح لاستحالة الإتيان بمثل القديم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

القرن السابع الهجري

أشهر من تكلم على فكرة الإعجاز في هذا العصر فخر الدين الرازي المفسر المتكلم والسكاكي الأديب أحد علماء البلاغة وابن العربي الصوفي المتكلم وعلي الآمدي وحازم القرطاجني المتكلمان . وفيما يلي كلمة في كل منهم .

١ — فخر الدين الرازي :

تحدث الإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) عن الإعجاز في عدة كتب له ويقول عبد العليم الهندي أنه لم يأت بجديد من عنده ويذكر أنه إنما اختصر كتابي الجرجاني : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ونظمها من جديد في كتابه

«نهاية الايجاز في دراية الإعجاز» الذي جاء برأي الجرجاني في صورة أوضح . ويتعرض الرازي لهذه المسألة في تفسيره وفي كتابيه في علم الكلام : «معالم أصول الدين» و «محصل أفكار المتقدمين» .

أما كتاب نهاية الايجاز فيمكن تلخيصه بما يلي :

١ — ذكر الرازي أن الدليل على إعجاز القرآن عجز العرب عن معارضته مع أنهم تحدوا اليها .

٢ — ثم يقول إن للناس أربعة مذاهب في وجه كونه معجزاً :

آ) مذهب الصرفة ، وبعد أن يشرحه كما قال به النظام ينقضه بأنه لو كان صحيحاً لما تعجب العرب من فصاحة القرآن ولكان نسيان العرب للصيغ المعلومة في مدة يسيرة دالاً على زوال العقل ومعلوم أن العرب لم تزل عقولهم بعد التحدي .

ب) مذهب مخالفة أسلوبه لأسلوب الشعر والخطب والرسائل لا سيما في مقاطع الآيات مثل يعلمون وتعلمون ويراه باطلاً لخمسة وجوه :

١) لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً .

٢) الابتداء بالأسلوب لا يمنع من الاتيان بمثله .

٣) يكون ما ألفه مسيلمة على الأسلوب نفسه معجزاً .

٤) لا يقع تفاوت حينئذ بين «ولكم في القصاص حياة» وبين «القتل أنفى للقتل» .

٥) وصف بعض العرب له بأن له حلاوة وأن عليه لطلاوة لا يليق بالأسلوب حينئذ .

ج) مذهب أن الإعجاز في عدم التناقض ويرد عليه بأنه يلزم حينئذ عد كثير من الكلام غيره معجزاً لخلو كثير من الكلام منه .

د) مذهب جعل الإعجاز في الإخبار عن الغيوب وهو عنده باطل لأن الغيوب لا توجد في كل سورة وآية ، ولم يبق في رأيه من كون القرآن معجزاً إلا الفصاحة .

هذا هو رأيه موجزاً ونلاحظ عليه أنه نقض كل المذاهب التي ذكرها وقصر الإعجاز على الفصاحة وسنرى أنه يناقض رأيه هذا في تفسيره كما نلاحظ أنه لا ينظر الى الإعجاز الا من جهة واحدة ويقع فيما وقع فيه غيره من أنه يقدم وجهاً وينكر ما عداه ولا ينظر الى القرآن نظرةً عامةً جامعة ليرى أنه معجز لعدة أمور اجتمعت بعضها الى بعض فكونت جماله ؛ فلا شك في أن للأسلوب وعدم التناقض وجمال المعنى أثراً كبيراً في جمال الكلام . ثم لا بد هنا من ملاحظة أن السيوطي ذكر رأي الرازي في الإعجاز فقال إنه الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب وقد رأينا هنا أنه يرفض أن تكون غرابة الأسلوب وجهاً في الإعجاز فيتبين في ذلك خطأ السيوطي في نقله رأي الرازي .

وأما ما ذكره الرازي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب عند تفسير آية التحدي في سورة البقرة « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الخ » فيمكن تلخيصه فيما يلي :

١ — إن ذكر هذه الآية في القرآن هو البرهان على صحة النبوة .

٢ — يمكن بيان كونه معجزاً من طريقين : (أ) القرآن معجز لأنه زائد على سائر كلام الفصحاء بقدر ينقض العادة ودليل ذلك عجز العرب عن معارضته بعد أن تحداهم برغم دواعيهم وعداوتهم وحميتهم ثم يقول إنه اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته وهو مع ذلك في النهاية من الفصاحة ؛ منها : ١ً) ان فصاحة العرب فيما تقع عليه مشاهدهم وأحاسيسهم من بعير وجمل ... ولم يتكلم القرآن في شيء منها فكان يجب ألاّ تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفق العرب عليها في كلامهم . ٢ً) إن القرآن تجنب الكذب ومع ذلك فهو فصيح والشعر أعذبه أكذبه ولهذا نزلت قيمة شعر حسان ولبيد بعد الإسلام لتحريهما الصدق . ٣ً) لا تقع الفصاحة في كل كلام الشاعر أو الخطيب والقرآن كله فصيح . ٤ً) كل فصيح إذا كرر الكلام في موضوع واحد لم يحافظ على فصاحته الأولى والقرآن فصيح في تكراراته الكثيرة . ٥ً) إنه يتكلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في العبادات وأحكام الدين والآخرة والكلام فيها يوجب نقص الفصاحة وهو مع ذلك فصيح ٠ ٦ً) كل شاعر ينبغ ويحسن شعره في فن والقرآن كان فصيحاً في كل فن يتكلم فيه ٠ ٧ً) القرآن أصل العلوم كلها ، ولكنه حين عددها عدّ منها علم الكلام والفقه وأصول الفقه واللغة والزهد وأخبار الآخرة ومكارم الأخلاق ٠

ونلاحظ أنه في الوجوه الستة الأولى يكرر ما قاله الباقلاني قبله أما في الوجه السابع فيذهب مذهب الغزالي وقد ذكر الأستاذ أمين الخولي أن الرازي هذا قد عرض لقضية الإعجاز العلمي أثناء تفسيره (التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم ، الخولي ص ٢٠) ٠

ب) الطريق الثاني للبرهان على الإعجاز أن القرآن إذا لم يكن معجزاً ولكن العرب مع توفر دواعيهم لم يستطيعوا معارضته فعجزهم أمر خارق للعادة فكان ذلك معجزاً وهذا الطريق في نظر المؤلف أقرب للصواب وهنا نراه يناقض ما جاء به في كتابه «نهاية الإيجاز» فقد نقض الصرفة هناك وأخذ بها هنا ٠

٣ً — يذكر اعتراض العرب زمن النبي على أن القرآن من جنس كلامهم فهو ينزل بحسب المناسبات وردّه عليهم بتحديهم بمثله إن استطاعوا ذلك ٠

٤ً — يذكر أن التحدي في القرآن وقع على وجوه ثم يذكر التدرج في هذا التحدي وهو يرى أن القرآن تحداهم بالأكثر فالأقل حتى انتهى الى التحدي بسورة ثم يقول إنه ربما ادعى مدّع أن الإتيان بمثل سورة الكوثر غير معجز فاذا ادعيتم انه معجز كابرتم فهو في مقدور البشر فيردّ المؤلف أنه لهذا فضل الصرفة وجمع القول بالصرفة الى القول بالإعجاز من حيث الفصاحة ٠ وهنا نلاحظ كيف أصبح المتأخرون من المؤلفين يجمعون بين النقيضين في البرهنة على قضية الإعجاز وقد سبقه الى ذلك الرماني من المؤلفين الذين درسناهم ٠

٥ً — يتعرض لقضية الجبر في مناقشة مسألة الإعجاز فيقول : قال القاضي

— ولا ندري من يقصد به — ويذكر ما معناه أن القول بالتحدي يبطل الجبر لأن الانسان لا يتحدى الا بشيء قادر عليه فاذا كانت أفعال الإنسان ليست له وإنما هي من صنع الله فيبطل التحدي لأن الله حينئذ يتحدى نفسه والنبي إنما يحتج بكونه معجزاً لأنه من عند الله والجبر يجعل الأفعال كلها من عند الله ولا يكون فرق بينهما ويتساوى المعجز وغير المعجز ويرد على قول هذا القاضي بأن إتيان الخصم بالتحدي موقوف على أن يحصل في قلبه قصداً إليه لا اتفاقاً فإذا كان منه لزم التسلسل وهو محال وإن كان من الله تعالى فحينئذ يعود الجبر ويبطل ما قال القاضي ·

ونحن نرى أن مثل هذه المناقضة الكلامية لا تحل هذه المسألة الفلسفية وليس أحدهما بأقوى حجة من الآخر وكل منهما يجعل بنيانه على أساس جدلي وهو أساس هار ينهار به الى سفسطة من الكلام ليس لها نتيجة ·

٦ — يذكر أن شدة التحدي في قوله : « وان تفعلوا » دليل على صدق النبي وثقته بنفسه وعلمه بعجز الناس عن معارضة القرآن ثم يقول إنه لم يستطع إنسان معارضته من أيام النبي الى الآن وهذا مؤيد لقوله ·

٣ — السكاكي :

جرى السكاكي (٦٢٦ م) في كتابه مفتاح العلوم على سنن عبد القاهر الجرجاني وزاد عليه فيه بعض أبحاث في علم البديع لم يطرقها هذا كما استرسل فيه أكثر منه في صبغ البلاغة بالصبغة الفلسفية · وقد بوّب فيه بحوث البلاغة ونظمها وأعطاها شكل القواعد التي بين أيدينا الآن · وكل من جاء بعد السكاكي فإنما أخذ عنه أو شرحه ·

والسكاكي في كتابه مفتاح العلوم يقول بأن القرآن معجز بالنظم على طريقة عبد القاهر ثم يرى ما يراه هذا من أن الإعجاز يدرك بالذوق وطول خدمة علم البلاغة وممارسة الكلام البليغ · وقد قال السكاكي

أولاً بإمكان تعليل الإعجاز وبيان وجهه واندفع مع القائلين بذلك ثم نكب عن هذه الطريقة ورفض القول بها وفي ذلك يقول : « واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا وطريقة الذوق خدمة هذين العلمين (مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٧٦) .

ثم يتصدى السكاكي لبيان بطلان ما يذكره معللو الإعجاز من الأوجه وجهاً وجهاً ويقول بعد ردها كلها : « فهذه أقوال أربعة يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة ولا طريق لك الى هذا الخامس إلاّ طول خدمة هذين العلمين بعد فضل إلهي من هبة يهبها بحكمه من يشاء وهي النفس المستعدة لذلك فكل ميسّر لما خلق له ولا استبعاد في إنكار هذا الوجه ممن ليس معه ما يطلع عليه فلكم سحبنا الذيل في إنكاره ثم ضممنا الذيل ما إن تذكره فله الشكر على جزيل ما أولى وله الحمد في الآخرة والأولى » (ص ٢١٦ من المرجع نفسه)

وبهذا يكون السكاكي قد اهتدى الى الطريقة الصحيحة المعقولة في القدرة على فهم الإعجاز دون تعليله بقواعد جامدة يناقض بعضها بعضاً ولا سيما وأن مقومات القول الجميل لم تكن قد فصل القول فيها بعد كما هو الأمر في عصرنا حين تمّ امتزاجنا بالثقافات الغربية الحديثة واطلاعنا على آداب أوسع آفاقاً من أفق أدبنا المقصور على أنواع من الكلام دون أخرى .

٣ — ابن العربي :

نرى لابن العربي (المتوفى سنة ٦٢٨ هـ) رأياً في الإعجاز ذكره السيوطي نقلاً عن كتابه الذي وصفه السيوطي بأنه لم يصنف مثله (الاتقان ج ٢ للسيوطي ص ١٩٨ وما بعدها) ويتلخص فيما يلي :

١ً — عرَّف المعجزة بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة ثم قسمها الى حسية وعقلية وقال إن معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم ومعجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكاء أبنائها ·

٢ً -- معجزة القرآن خالدة أبد الدهر لأن الشريعة الإسلامية خالدة ويذكر بهذه المناسبة حديث النبي : « ما من الأنبياء نبي أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله اليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً ، أخرجه البخاري » ·

٣ً — خرق القرآن للعادة هو في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به وقال إن معجزات القرآن تشاهد بالبصيرة — وذلك أثناء شرح الحديث النبوي السابق — فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن المحسوس ينقرض بانقراض مشاهده بعكس المعقول الذي يبقى فيشاهده كل من جاء بعد الأول ·

وابن العربي هنا لا يأتي بجديد وهو من المؤلفين الذين يأخذون آراء من سبقوهم كما هي بدون ابتكار أو تجديد فيضمون رأياً الى آخر أو يفردون رأياً عن آخر من دون أن يبرهنوا برهاناً مقنعاً أو كافياً على العلة التي فضلوا بها الرأي الذي نصروه ·

٤ً — الآمدي :

تكلَّم علي بن أبي علي الآمدي (٦٣١ هـ) في كتابه « أبكار الأفكار » (M S Berlin Pet. 233) على الإعجاز وهو يقصر عمله فيه على شرح وتفصيل أدلة السابقين وشأنه في ذلك شأن غيره من المتكلمين المتأخرين الذين يفيضون في الكتابة ليوضحوا دليلاً من هذه الأدلة وهو يضع أسئلة يتوقع أن تثار في ذهن القارىء ثم يردّ عليها ·

أما خلاصة رأيه في الإعجاز فقد ذكرها الألوسي في مقدمة تفسيره وهي أن الإعجاز بجملة القرآن وبالنظر الى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب ويقول الألوسي إن رأي الآمدي هذا قد ارتضاه الكثيرون (الألوسي ج ١ من تفسيره ص ٢٩) .

والآمدي في قوله بأن القرآن معجز بجملته إنما يجمع جملة آراء المتقدمين وينظر الى القرآن نظرةً عامةً شاملة لا نظرة ضيقةً من ناحية واحدة كما فعل كثيرون غيره .

٥ً — حازم القرطاجني :

ونرى في هذا العصر حازم بن محمد القرطاجني (٦٨٤ ﻫ) يؤلف كتابه «منهاج البلغاء» ويقول عبد العليم الهندي (في مقالته السابقة) بأنه يوجد كتاب للكاتب نفسه في مكتبة بالمدينة باسم «البرهان القاصف عن إعجاز القرآن» ولعله كتاب منهاج البلغاء نفسه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما خلاصة رأيه في الإعجاز فقد أوردها السيوطي (الإتقان ج ٢ بحث الإعجاز) وهي : «وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائه في العالي منه إلاّ في الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الإنسانية فيتقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تفاريق وأجزاء منه» .

ويتجلى بذلك أن حازماً هذا لم يعمل أكثر من أن أخذ أحد براهين الباقلاّني في الإعجاز وهو «استمرار الفصاحة في كل أقسام القرآن» ووسّعه بدون أن يضيف اليه جديداً غير تعليله بأن تقصير البشر ناتج عن اعتراض الضعف الانساني لهم في فترات الكلام .

نقد وتلخيص :

الفكرة العامة التي نأخذها عن مؤلفي هـذا العصر الذين تكلمنا عنهم هي أنهم كانوا مجرد ناقلين أو شارحين أو جامعين لآراء من سبقوهم وأن أحدهم وهو الآمدي يصلح أن يكون مثالاً من المتكلمين المتأخرين فهو يأخذ حجج من قبله فيوسعها وقد رأينا انه ينظر الى القرآن نظرة عامة فالقرآن معجز عنده بجملته ولكنه في هذا أيضاً متبع وليس مبتدعاً ورأينا أن فخر الدين الرازي ينكر الصرفة في كتاب وينصرها في آخر وأنه يجمع في هـذا الأخير بين النقيضين : الصرفة والبلاغة ، دون أن يرى مانعاً عقلياً من ذلك .

(يتبع) نعيم الحمصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعريف والنقد

الأمثال العامية اللبنانية من رأس المتن

ألفه أنيس فريحة في جزئين

٧٤٨ صفحة من قطع الوسط

طبع على مطابع المرسلين اللبنانيين في جونية سنة ١٩٥٣

الأستاذ المؤلف من أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت وقد ولد في مقاطعة رأس المتن ولذا كان ثقة في ما قاله وحققه من أمثال بلده . وقد أشار الى ذلك في عنوان كتابه مذ سماه بهذا الاسم ، مصرحاً بأن أمثاله في كتابه إنما راعى في جمعها بلده الذي نشأ فيه . على أن هذه الأمثال – كما قال في المقدمة – يشارك المتن أو لبنان فيها غيره من الأصقاع العربية كبيروت وحوران وبغداد وغيرها لكنه هو لا يذكر في الكتاب الا ما كان معروفاً من الأمثال في بلده وقد قاسى أتعاباً جمةً في جمع تلك الأمثال وتهذيب ألفاظها وغريباتها ومقارنتها بغيرها .

وما كان يقع في كنه كل هذه الأمثال لولا أنه أعلن بين أبناء قومه أن من جاءه بمثل لا يعرفه فله ثمنه فرنك ، فتساقطت عليه قوائم الأمثال من كل جانب . وقد خدم الأستاذ وطنه بهذا التأليف – وان كان المقصود الأعظم في هذه الخدمة الشعب الانكليزي – فقد قدّم لكتابه مقدمة بالانكليزية وترجم الأمثال الى الانكليزية ، وليس للعربي من كتابه الا قراءة نصوص الأمثال فلا يجد القارئ العربي في الكتاب مقدمةً عربية ولا تعليقاً على مضرب المثل

ولا موضع التمثل به ، ولا سيما الأمثال التي يخفى مغزاها على العربي من غير أبناء المتن .

ولا يخفى أن أمثال كل شعب إنما هي مرآة تريك من أمر حياته ما يخفى على غيره وخاصةً أخلاقه ولهجته التي يتميز بها عن أصحاب اللهجات الأخرى . فاذا سمعت من يتمثل بقوله (إذا شفت أعمى طبّوا إنت منك أرحم من ربّو) حكمت أن هذا الشعب قاسي القلب مثلاً .

وفي بعض أمثال الكتاب اختلاف عما هو في لهجة البلاد الأخرى مثل : (أكل فول ورجع للأصول) . ولما كان الشعب اللبناني مسلماً مسيحياً كانت أمثال الكتاب مَشيجًا من لهجة الفريقين ومعبّرة عن أخلاقهما وطباعهما : فبينا نسمع المسيحي يقول : (الخوري بيغلط بالانجيل) إذ أنت تسمع المسلم بجانبه يقول : (أمك داعية لك في ليلة القدر) غير أن هذا المثل المسلم أغار عليه المسيحي فاستبدل تعبير (مصلاّية لك) المسيحي بتعبير (داعية لك) المسلم . وهذا كالبيتين من الشعر كنا نسمع شباب المسلمين في طرابلس يغنون بهما هكذا :

(كسرَ الجرّة عمداً وسقى الأرض شرابا)
(صحتُ والاسلامُ ديني ليتني كنتُ ترابا)

فقوله (والاسلام ديني) هو الذي يأتلف مع قوله (ليتني كنت ترابا) الآية القرآنية . غير أن الشبان المسيحيين غيروهما الى ما يوافق لهجتهم الدينية فكانوا ينشدونها هكذا : (صحتُ والصهباء ديني) .

وفي الكتاب أغلاط مطبعية طفيفة مثل (خِبز) بكسر الخاء . و (ليلة القدر) بكسر التاء .

وربما كان هذا الكتاب أجمع كتاب للأمثال العامية العربية وأقربها تناولاً وفائدة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمود سامي البارودي

قد يقال ان الشعر العربي في حديث نهضته وقشيب حلته مدين لمحمود سامي البارودي ، كما ان النثر العربي في مثل ذلك مدين للشيخ محمد عبده وآثار قلمه في (العروة الوثقى) . وشعر البارودي جمع بين جزالة الشعر العربي القديم وسلامة الشعر الذي يتطلبه أبناء هذا العصر .

يدرك هذا من قرأ (ترجمة البارودي) في كراسة لطيفة الحجم حسنة الترتيب والوضع كتبها الأستاذ عمر الدسوقي وأصدرتها دار المعارف بمصر في التعريف بالشاعر المذكور . وهي الرقم الرابع من سلسلة الرسائل التي يكتبها الأستاذ الدسوقي بعنوان (نوابغ الفكر العربي) . والرسالة في أكثر من مئة صفحة ضمنها مؤلفها أحسن ما يقال في وصف عصر الشاعر وحياته وثقافته ومذهبه الشعري في جوانب المعاني المختلفة وآثاره الشعرية وميزاتها وغير ذلك مما يحتاج اليه كل طالب فالشكر للمؤلف على هديته هذه الى أبناء أمته .

المغربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرآة الزمان (الجزء الثامن)

لسبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ ﻫ

وهو في مجلدين عدد صفحاتهما ٧٩٥ صفحة من قطع المتوسط طبع بحيدر اباد الدكن في الهند في سلسلة مطبوعات دائرة المعارف العثمانية

المجلد الأول — تبدأ حوادثه في سنة ٤٩٥ ﻫ . وتنتهي بحوادث سنة ٥٨٩ ﻫ .

المجلد الثاني — تبدأ حوادثه في سنة ٥٩٠ ﻫ وتنتهي بحوادث سنة ٦٥٤ ﻫ .

أي في السنة التي توفي فيها المؤلف .

وقد عثرت في المجلدين على بعض أخطاء غفل عنها المحقق وغيرها من الأخطاء المطبعية أهمها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص	الخطأ	الصواب
٢	الى الاسكندرية عهد اليه (كذا)	الى الاسكندرية و [كان أبوه قد عهد بالخلافة اليه]
٤	ابو ابن يعلى القلانسي	ابو يعلى بن القلانسي
٥ و ٦	تونا شاميا	توتاً شامياً
١١	صفوة الملوك	صفوة الملك
٢٦	فخر رأسه	لحز رأسه
٢٧	وكذى السواقي	وكري السواقي
٢٨	الصلبة	لصلبه
٣١	حصن الطوفان	حصن الطوبان
٣٢	كوكب الذنب	كوكب المذنب
٤٢	جسر الصبرة	جسر الصنبرة
٤٤	دار الجبل	دار الخيل
٧٧	انبانا (؟)	انبأنا

ص	الخطأ	الصواب
٧٩	في الطبقة	في القبة
٨٠	بالثنية	بالبثينة
•	بنسر (؟)	بيسر
٨٦	كيف حيثيتها	كيف جئتها
٩٢	ابو الأسود الديلي	ابو الأسود الدؤلي
٩٧	وخدم	وضم
١١١	قلعة المسطرة	قلعة المنظرة
١١٦	عقبة سحورا	عقبة شحورا
١٢٥	عبد القادر الحنبلي	عبد القادر الجيلي
١٣٠	ورضاً بالأحجار	ورمياً بالأحجار
١٣١	بيت الشام	ست الشام
١٤٠	حماس (؟)	خماس
١٤٩	فطلعت (؟) الشمس	فأظلت الشمس
١٥٢	آمل	آمد
١٧١	باب المرادة	باب الزيادة
٢١٠	بعين الجسر	بعين الجر
•	ارفهم	أوفرهم
٢١٢	صيتاً	صبنًا
٢٢٢	بعيون الفار شيئاً	بعيون فاسريا
٢٢٢	النقب	القصب
٢٢٣	وبارز	وبادر
٢٣٠	أهل الاقليم	الى الاقليم
٢٤٢	من القبلة (؟)	من الشرق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص	الخطأ	الصواب
٢٩٥	ابن سمدان	ابن مروان
٣٠٥	تحت	تحث
٣١٣	اللوافر	الكوافي
•	الكساكير	السكاكر
٣٠٤	جدي	والدي
٣١٨	قطيا	قطنا
٣٩٢	جدوه (؟)	غدره
•	صفرية	صفورية
٣٩٢	تسبيل	تسيل
•	موى	نوى
٣٩٥	مجدل بابا	مجدل يابا
٤١٤	بالعقيقه	بالعقيبة
٤٣٢	ولا سنقفا	ولا سقفا
٤٦٢	جبل سين	جبل سنير
٤٦٩	عقبة شبزورا	عقبة شحورا
٤٧٤	خشعن	خسفين
٤٧٨	تبرين	تبنين
٤٨٣	مجلدات	مجلدان
٤٨٦	كتاب وصولة (؟) العقل	وكتاب صولة العقل على الهوى
٤٨٧	الثبات عند الماث	الثبات عند الملمات
٤٩٠	فبغض	فنغص
•	تبغضنا	تنغصنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص	الخطأ	الصواب
٤٩١	مغفول الكم	مغفور لكم
٤٩٩	حلبس	جلس
٥١٠	الى القصر	الى القصير
	شيخ الفارسية	شيخ المقادسة
٥٦٤	مغارة الجوخ	مغارة الجوع
٥٨٤	عالين	عالقين
٥٨٥	جزير	جزين
٦٠٢	بار جبس بلد حطيط	بارجيش بلد خلاء
٦١٣	الحصن الأبيض	الجسر الأبيض
٦١٤	عيون الفامرب	عيون فاسريا
٦١٥	ثوبين	تبنين
٦٢٥	صهير	خمير
٦٢٦	وكده	ولده
٦٣٤	الف دينار (؟)	الف الف دينار
٦٣٧	البيت المقدس	بيت المقدس
٦٤٢	عين الكرس	عين الكرش
٦٥٠	وزرع	وذرع
	ودفن	وبنى
٦٥١	الحقوا (؟)	الحقول
٦٥٨	٦٢٨	٦٥٨
	من بلدان شيء	من بلدان شتى
٦٧٦	البعلاء	العلاء
٦٧٨	وسمى	وتبين

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

ص	الخطأ	الصواب
٦٨٠	منيماً	منتمياً
٦٨١	الخليل	الخبل
٦٩٢	يجرود	جرود
٧٠٦	على الحبال	على أكيال
٧٠٨	حسبين	جنين
٧٠٩	وصار	وسار
•	مليط	مميل
٧١٠	ويقلب	ويلقب
•	على خطة	على خطر
٧١٨	عطن	عقل
٧٢٦	بريد	يريد
•	حسين	حنين
٧٢٧	الرمه	الرمثة
٧٥٠	افته	افقه
٧٥٢	ومنه الى زقاق الرمان العتيقة بأسرها	وامتد الى زقاق الرمان والعقيبة فاحترقت بأسرها .
٧٦٤	وأمر بعمارة القدس وذرع	وأمر بعمارة سور القدس وذرعه
٧٧٢	بشش عليه	بشاش عمته
٧٨٥	بدر الدين	عز الدين
٧٩٥	ذبك	ذيل

جزى الله دائرة المعارف العثمانية عن العلم خير الجزاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

H. Laoust - Les gouverneurs de Damas sous les mamlouks et les premiers ottomans
(658 — 1156 / 1260 — 1744) Damas 1952.

ولاة دمشق في عهد المماليك وأوائل العهد العثماني

(٦٥٨ — ١١٥٦ هـ و ١٢٦٠ — ١٧٤٤ م) لمحمد بن طولون ومحمد بن جمعة

ترجمه الى الافرنسية الأستاذ هنري لاوست

يقع الكتاب في (٢٨٨) صفحة من قطع الوسط

وهو من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق ، طبع سنة ١٩٥٢

ضمت هذه الترجمة كتابين الأول كتاب « إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى) لمحمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ نقلاً عن مخطوطة الخزانة التيمورية في القاهرة . تبدأ حوادثه سنة ٦٥٨ هـ ، وتنتهي سنة ٩٤٣ هـ . والثاني كتاب (الباشات والقضاة) لمحمد بن جمعة أوله سنة ٩٢٢ ونهايته سنة ١١٥٦ هـ . نقلاً عن نسخة مكتبة برلين .

ان شهرة الكتابين تغني عن البيان فقد أشار الى أهميتها علماء أعلام منهم الأستاذ محمد بك كردعلي (مجلة المجمع العلمي العربي ٣ : ٧٢ — ٧٤) وبروكلمان في تاريخه ٢ : ٣٠٢) وغيرهما وقد جمع فيهما مؤلفاهما سيرة ولاة دمشق لمدة ستة قرون من حكم المماليك الأتراك والعثمانيين وقد انفردا في موضوع لم يسبق لغيرهما تدوينه . ويقف القارئ خلال هذه التراجم على كثير من أمور تلك العصور الادارية وشؤونها الاجتماعية ، وتصور له ما كانت تعانيه البلاد من الفوضى السائدة بسبب عدم استقرار الولاة وتعرضهم للعزل والنقل دوماً سبب وقلما أكمل أحد منهم سنته ، وما كانت تشفع للمحسن منهم كفاءته كما أنه لم تكن تقصر المسيء منهم اساءته أو عجزه .

ومن محاسن هذه الترجمة ضبطها الأعلام وأكثرها أعجمي لا يخضع لقاعدة .
نشكر الأستاذ المترجم على حسن عمله ونحمد للمعهد الافرنسي نبل مقاصده .

Damas de 1075 - 1154
par Roger le Tourneau
Traduction annoté d'un fragment de l'Histoire de Damas
D'Ibn al Qalanisi. Damas 1952

دمشق من سنة ١٠٧٥ الى ١١٥٤ م

لروجه لتورونو ، يقع في (٣٧٥) صفحة من قطع المتوسط
وهو من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق ، طبع سنة ١٩٥٢

ان هذا الكتاب هو ترجمة افرنسية لقسم من ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي المتعلق بحوادث مدينة دمشق في سني ٤٦٨ — ٥٤٩ هـ ، ويعطينا المعهد الافرنسي بدمشق دليلاً جديداً على مبلغ عنايته بتاريخ بلاد الشام عامة ومدينة دمشق خاصة وحرصه على نقل أخبارها الى مواطنيه عن مصادر أبنائها ، وهذه مأثرة نضيفها الى مآثره العديدة ونسجلها له بالشكر والحمد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد سبق للأستاذ جيب (H. A. R. Gibb) أن ترجم هذا القسم الى اللغة الانكليزية في عام ١٩٣٢ م . وقد اعتمد المترجم الافرنسي على النص العربي المطبوع في ليدن عام ١٩٠٨ ، واستهل كتابه بمقدمة قيمة وعلق عليه بملاحظات مفيدة .

قد لا يسلم كتاب من هفوات بسيطة مهما حاول صاحبه تجنبها وهذا لا ينتقص من قيمة الكتاب وفوائده . وقد رأيت في بعض التعليقات ما يستوجب الاشارة الى صحتها . ومن أهمها ماجاء في (ص : ٥ ح ١) في تعريفه المنبر بقوله : (انه مرقاة متنقلة لها درجات) ، مع أن المنبر هو بناء ثابت من خشب أو حجر . وفي (ص: ٦٣ ح ١) قوله : (سواد طبرية هو سهل حول مدينة طبرية) وصوابه ناحية قرب البلقاء إذ لا يوجد حول طبرية سهل بل يحيط بها الماء والجبل . وفي (ص : ١٠٦ م) (سواد الجبابنة) وصوابه سواد الجبانية وهي كورة جبل جرش قرب الغور . وفي (ص : ١٦٥ و ١٦٧) (Charkhoub) شرخوب

وأرجح انه تحريف اسم شقحب وهي قرية في مرج الصفر . وفي (ص : ١٦٥) (al-ʿAqaba) العقبة وصوابه العقيبة كانت قرية بضاحية دمشق وأصبحت اليوم من أحيائها . ويتساءل المترجم في (ص : ٢٣٨ ح ٢) عن موقع (حصن الخريبة ، وحصن وادى ابن الأحمر) ؟ وقد جاء في معجم البلدان (٢ : ٤٣١) : خريبة الفار حصن بساحل بحر الشام ، وجاء فيه أيضاً (١ : ١٥٦ و٣ : ٦١٦) الأحمر حصن بظواهر بحر الشام وكان يعرف بعثليث . وقد عرّف معجم البلدان (١ : ٧٠٩) مدينة (البلاط) التي التبس على المترجم موقعها (ص : ٢٤٦ ح ١) بأنها مدينة عتيقة بين مرعش وانطاكية يسقيها النهر الأسود (قراسو) الخارج من الثغور وهي مدينة كورة الحُوّار خربت وهي من أعمال حلب . وقال في (ص : ٢٨٢ ح ٣) (عين شواقة مكان في ضاحية دمشق غير معروف) مع انها عين ماء تنبع جنوب غربي قرية داريا وتروي أراضي قرية أشرفية صحنايا . وقال في (ص ٣٤٠ ح ٣) (ان قصب المرج هي محلة من القصب في مدينة دمشق) وصوابه هو مرج بحيرة العتيبة .

نشكر المترجم على جهده كما نشكر المعهد الافرنسي على نشاطه العلمي .

جعفر الحسني

علمتني الحياة

من سلسلة (كتاب الهلال) الشهرية

عهدت مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر ، وهي مؤسسة ثقافية تضم كبار الناشرين الأمريكيين ، الى الدكتور أحمد امين أن يشرف على ترجمة كتاب « This Ibelieve » أي « هذا ما أعتقد » ، فاختار له الأستاذ أحمد امين عنوان « علمتني الحياة » لأنه رأى أن الاسم الأمريكي مضلل للقارئين إذ يفهم منه أنه كتاب يبحث في الأديان ، وهو يبحث في صميم الحياة والنجاح فيها ، واختار لترجمته الأستاذ محمد بكير خليل ، والدكتور مختار الوكيل ، والكتاب المترجم كان يحتوي على نحو مائة مقالة اختير منها للعربية ثلاثون ، وضم اليها الأستاذ أحمد أمين أربعاً وعشرين مقالة عربية لكتاب من العرب معروفين من النوعين ، فكانت فكرة لطيفة يفرح بها الناقد العربي لمعرفة الفروق بين كتاب العرب وكتاب الأمريكيين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويدل على قيمة الكتاب الامريكي أن الولايات المتحدة تذيعه في الأسبوع الواحد ٢٢٠٠ مرة من ١٩٦ محطة داخلية ، يصل صوتها الى آذان ٩٠ مليون نسمة فيها ، كما يذاع من ١٥٠ محطة خارجية ، وتذيعه محطة (صوت أميركا) اسبوعياً مترجماً الى ست لغات ، ويضاف الى ذلك أن الصحف الأميركية تنشر هذا الكتاب ما يقرب من ٨٥٠٠٠٠٠ مرة في الأسبوع في ٨٥ صحيفة يومية ، ويستخدم في مئات من المدارس ، وأين مثل هذا النشر الواسع العظيم مما ينشر من كتبنا !

قرأت مواد القسم الغربي وأفدت منها فوائد جمة ومن عناوينها : اني سعيد بوقتي ، النصر للايمان ، إني أومن بالناس ، الايمان بالعمل ، فضائل الحياة ، أومن بخلود الروح ، وهذا طريقي للنجاح ...

ثم قرأت مواد القسم العربي ، وابتهجت بأني ألفيت ما كتبناه لا يقل فائدة وإمتاعاً مما كتبه الغربيون ، ومن عناوين هذه المواد : ارادة الشعب للواء محمد نجيب ، والحياة هدف وإرادة لتوفيق الحكيم ، والرجل الحق لشفيق جبري ، واستقرار المرأة للسيدة أمينة السعيد ، وحقائق وأوهام لرضا الشبيبي ، وحدّد أهدافك لاميل زيدان ، ودرهم حكمة لأحمد أمين ....

ونرى ، كالأستاذ أحمد أمين ، ان في ترجمة هذا الكتاب المفيد مكسباً كبيراً للعرب لأنه يتيح لكثير من القراء الأمريكيين أن يفهموا كيف يفكر العرب فهو من الدعايات النافعة للعرب لا دعايات الجرائد والمجلات السافرة التي لم تبلغ هذا المبلغ في السمو ، جزى الله المشرف على هذا الكتاب الأستاذ أحمد أمين أفضل ما يجزي به .

مجموعة رسائل

للشيخ حسن علي البدر القطيفي

المطبعة الحيدرية بالنجف (١٣٧٢ - ١٩٥٣)

عني بنشر هذه الرسائل الدينية نجل المؤلف الشيخ طاهر البدر ، وهي ست رسائل : أولاها : وسيلة المبتدئين الى فهم عبائر المنطقيين ، وهي أطول الرسائل ، والثانية : رسالة في اعادة الصلوات ، والثالثة : تحقيق الحق وابطال الباطل ، والرابعة : في الاستصحاب والتكليف الشرعي ، والخامسة : في قضاء أولى الأعذار ، والسادسة : وهي دينية سياسية واسمها دعوة الموحدين الى حماية الدين ، صنفها المؤلف أيام هجوم ايطاليا على طرابلس الغرب سنة ١٣٢٩ هـ ، بحمية من دينه وعصبية لقومه العرب ، وقد أقام فيها الأدلة والبراهين على وجوب الجهاد للدفاع عن بيضة الاسلام وحوزة العروبة فدل بذلك على أن الاسلام فوق المذاهب

وانه العروة الوثقى للمتمسكين به ، وانه صفوة العروبة الجاهلية ومصاص اعراقها ومختار أخلاقها ، ومن السياسة القومية التي استنبطها أئمة الشيعة [1] وجهابذة السنة من القرآن : (عدم جواز استيطان المشركين مكة وأرض الحجاز كالمدينة والطائف وما والاهما ، بل قيل : لا يجوز استيطانهم جزيرة العرب لشرفها بكونها منزلاً للعرب الذين منهم النبيّ العربي ، وقد روي عن ابن عباس ان النبي أوصى بإخراج المشركين من جزيرة العرب ، وقال (ﷺ) : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ...) وفي مثل ذلك الاستنباط الدقيق ذياد عن بيضة الاسلام ، ودفاع عن حوذة العروبة .

وقد وقع في هذه الرسائل أغلاط مطبعية أذكر منها على سبيل المثال ما وقع في سطرين من صفحة واحدة من رسالة الجهاد (ص ٩) قال : « ويجب الجهاد من دهم المسلمين عدو يخشى منه على بيضة الاسلام ، واذا وطأ الكفار دار الاسلام » والصواب : « متى دهم المسلمين عدو ... واذا وطىء الكفار دار الاسلام » . الى غير ذلك من الاخطاء التي لا يحسن السكوت عنها مع جلالة التحقيق في هذه الرسائل التي يجمل بفقهائنا الاطلاع عليها ليروا أن الفروع الفقهية لا تضعضع الأصول الشرعية التي هي حبل الله الوحيد الذي تحيا بالاعتصام به العروبة والاسلام .

عز الدين التنوخي

---

(١) منهم الشيخ احمد الجزائري في كتابه قلائد الدرر في اول كتاب الجهاد ، قال في تفسير : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » الآية . وبها استدل الفقهاء على عدم جواز استيطان المشركين أرض الحجاز خاصة وجزيرة العرب عامة .

أوائل المقالات ، في المذاهب والمختارات

للشيخ المفيد محمد بن النعمان المتوفى سنة ٤١٣ هـ

ولها مقدمات ، وعليها تعليقات بقلم الشيخ فضل الله الزنجاني

ويليها رسالة شرح عقائد « الصدوق » أو تصحيح الاعتقاد له أيضاً

علق عليها ووضع مقدمة لها السيد هبة الله الشهرستاني

صححها واهتم بنشرها وعلق عليها بعض التعاليق الحاج عباس قلي « واعظ جرندابي »

إن الكتاب الأول قد دلّ اسمه على مسماه ، فهو يبحث في مذاهب الفرق وأهلها ، ويختار منها ما للإمامية الاثني عشرية ، وقد رتبه على أبواب ؛ فالباب الأول منه في الفرق بين الشيعة والمعتزلة ، وقد ذكر في هذا الباب معنى التشيع لغةً واصطلاحاً ، ومن يستحق إطلاق هذا الاسم عليه من الفرق المنتحلة للتشيع ، ثم ذكر معنى الاعتزال وتاريخه ، ومن أطلق عليه هذا اللقب ؛ والباب الثاني كما جاء في طليعة الكتاب ، في الفرق بين الإمامية وغيرهم من الشيعة ، وأشار الى الفرقة الزيدية ، وما به يمتازون عن الامامية ؛ وفي الثالث ذكر ما اتفقت عليه الإمامية من القول بالإمامة على خلاف المعتزلة ، ذكر فيه بعض الفروع الخلافية بين الفريقين في باب النبوة والإمامة وغيرهما ؛ وفي الرابع وصف ما اختاره من الأصول نظراً ووفاقاً لما جاءت به الآثار عن أئمة الهدى من آل محمد (عليهم السلام) وذكر من وافق في هذا الباب مذهبه من أهل المقالات ، وذكر فيه أهم المسائل الاعتقادية في أبواب التوحيد والصفات والعدل واللطف والصلاح والأصلح والنبوة والمسائل المتعلقة بها ، والإمامة ومتعلقاتها وما يتفرع عليها ، والقول في القرآن وجهة إعجازه وتأليفه ، وفي المعاد ، وأبواب الوعد والوعيد ، والأسماء والأحكام ، وسائر المباحث التي يجدها الناظر في أبوابه وفصوله . وخلاصة رأي الإمامية ومخالفيهم في كل منها ، أو من بعض متكلمي الشيعة كآل نوبخت

وغيرهم ممن كان لهم آراء في بعض هذه المسائل الكلامية مخالفة لما عليه الجمهور من سائر متكلميهم .

وأما التأليف الثاني وهو (تصحيح الاعتقاد) للشيخ أبي جعفر بن علي بن بابويه القمي ، المعروف بالصدوق المتوفى بالري سنة ٣٨١ ، فقد ذكر فيه « جميع اعتقادات الفرقة الناجية ، الضرورية منها وغير الضرورية ، الوفاقية منها وغير الوفاقية » ومن مباحثه : معنى كشف الساق ، تأويل اليد ، نفخ الأرواح ، معنى المكر والخدعة من الله ، معنى « الله يستهزئ بهم » ، « نسوا الله فنسيهم » وتكلم في صفات الله تعالى ، وفي خلق أفعال العباد ، المشيئة والإرادة ، تفسير آيات القضاء والقدر ، تفسير أخبارهما ، ومعنى « فطرة الله » والاستطاعة ، والبداء والجدال ، وفي اللوح والقلم ، ومعنى « العرش » وفي خلق النفوس والأرواح ، ووقوع الثواب والعقاب ، وما بعده بحث في شؤون الآخرة ، ثم بحث في نزول الوحي والقرآن ، وفي عصمة الأئمة ، وفي الخلق والتفويض و (المفوضة عندهم صنف من الغلاة ، ومن دعواهم أن الله خلق الأئمة خاصة ، ثم فوض اليهم خلق العالم بما فيه !! ..) وختمه في بحث التقية ، وفي أمور فرعية .

وصف الأستاذ الزنجاني في تعريفه بكتاب (أوائل المقالات) وترجمة مؤلفه الشيخ المفيد بأن حياته العلمية كانت مستغرقة في أغلب الأحيان في ترويج المذهب ، والدفاع عنه ، والجدال مع المخالفين على اختلاف فرقهم ، قلت : وكتابه هذا وشرحه لرسالة شيخه « الصدوق » المطبوعة معه ، وما وضع عليهما من حواش وتقارير ، شهود على ذلك .

وقد جاء في ص ١٠ بعنوان « القول في محاربي أمير المؤمنين (ع) » ما نصه : واتفقت الإمامية والزيدية والخوارج ، على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين ، كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين (ع) وأنهم بذلك

في النار مخلدون ١٠ ا هـ وهذا اتفاق على عكس الآية الكريمة : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

رأيت في هذا الكتاب الذي دفعه المجمع العلمي إليّ لأصفه في باب « التعريف والنقد » بعض ما يراه القارئ في غيره كالكافي والتهذيب والوافي وغيرها ، من لعن وتكفير وتخليد في النار لمن أورثوهم الأرض والديار ، ولم أر انتقاداً ولا اعتراضاً لأحد ممن تعاقبوا على تصحيحه أو تقريظه ، وهم من أشهر مجتهدي الشيعة في هذا العصر ، وعليه صورهم . ولا شك أن هذه الكتب تورث قراءها وغراً وحقداً ، وعداءً وبغضاً ، وتنطق ألسنتهم بأخش القول وأوحشه ، لرجال الصدر الأول للإسلام فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة ، وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن .

إن هذه الكتب هي منبع الفتن ، فمنها يستقي كل طاعن ، وعنها يصدر كل لاعن ، وقد دللنا الآن على مكامن الداء ، ليعالجه دعاة الوحدة والوئام ، من المجتهدين الكرام ، ولقد انقضت عصور الأمويين والعباسيين ، وأصحاب الجمل والنهروان وصفين ، وحسابهم على رب العالمين .

على ربي حسابهم إليه تناهى علم ذلك لا إليّهْ
وليس بضائري ما قد أتوه إذا ما الله أصلح ما لديّهْ

كان حوار السلف مع الفرق الإسلامية التي ظهرت في عصورهم ، وشاعت مقالاتهم في الناس ، كالقدرية والخوارج والجبرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والوعيدية وغيرهم ، وقد انتشرت في زماننا شبه وشكوك في دين الحق لأقوام آخرين ، كدعاة التبشير والتنصير مع الدول التي تمدهم بالمال والرجال ، وقد باعوا أنفسهم وغيرهم للاستعمار ، وكدعاة الإلحاد والفساد ، فأين دعاة الاسلام وحماته

لدفع باطلهم ، وكبح جماحهم ؟ والى مثل هذا نوجه أنظار الأئمة المجتهدين ، والله هو الموفق والمعين .

هذا وقد بدت لنا أغلاط نذكرها هنا لتصحح :

في المقدمة (ط) : زيّناه العلاّمتان . (يا) : أن يحسن جزائه ويطيل بقائه . (يب) : تذكّر هام .

وفي ص ١ من مقدمة الطبعة الثانية : فهممنا على استدراكه — يستحق بالذكر . (يو) : تصحيحنا الكتاب الثانوي . (ك) : فاكتفيت على تلك . (كا) : ذلك المدة . (كو) : أبيطالب . (ومما كتب متصلاً هكذا : ابيعبد الله . عليخان انشاء الله . انكان . ولعله اصطلاح لهم . (لد) : الذي كانا ينوبان . (له) : تلك الكتاب . (لط) : مولده ومنشائه . (مج) : وأربع وسبعين كتاباً . (مد) : ان له قريب من — على ذلك الجملة — التي سئلنا عنه . (مط) : في تلك الزمان . (ن) : سنة ثلث عشر وأربعمائة . (ص ٣) : وانكانوا . (ص ٦) : ممن صحب شيخنا المعتزلة .

هذه أمثلة مما في الكتاب ، ولعلّ الأستاذ الناشر — وهو عالي الهمة ، ماضي العزيمة — يدفعه إلى أحد المشتغلين بالقواعد العربية صرفاً ونحواً وإملاءً ، ليتولى تصحيحه بدقة وعناية ، حتى لا يشغل المطالع بمثل هذا عن الموضوع والبحث فيه .

آيات الخالق الكونية والنفسية

تأليف الأستاذ رشيد رشدي العابري .

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة (١٢٠ ص - قطع صغير)

منشورات جمعية التربية الاسلامية - بغداد ١٩٥٣ !

نوّهنا من قبلُ بكتاب (بصائر جغرافية) للأستاذ المؤلف الكريم الذي وصفناه بأنه من شيوخ السنّ والعلم ، ومن دعاة النهضة والتجديد ؛ والآن نصف هذه السلسلة الأولى من كتابه الجديد ، تصفحناها فاذا فيها من الآيات البينة في الأنفس وفي الآفاق ما يدعو الى الايمان بالله تعالى وعظمته ، والإذعان القلبي لجلال قدرته ، والى ما يشهد ببديع صنعه وبالغ حكمته ، وهو حجة ناطقة للمؤمنين ، وحسرة ظاهرة على المفرّطين : « أن تقول نفس ، يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله ، وإن كنتُ لمن الساخرين » .

ومن أمتع ما قرأناه في هذه الفصول النفيسة : « النظام الرائع في تصريف الرياح » ، « غرائب الغرائز في الحشرات » ، « صقر البحر وخطاف البحر وعجائبها في الطيران » ، « الموازنة العجيبة في المجموعة الشمسية » ، « الذرة وعظمتها على صغر حجمها » . ولا شك أن هذه السلسلة الذهبية يحتاج اليها جميع الدارسين والدارسات في المعاهد الدينية والمدنية ، أثاب المولى المؤلف على حسن صنيعه ، وبارك في عمره .

محمد بهجة البيطار

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم

تأليف : نشوان بن سعيد الحميري

الجزء الأول – القسم الاول ، عني بتحقيقه ونشره : ك . و . سترستين

طبع في مطبعة بريل بليدن ١٩٥١

كان نشوان بن سعيد الحميري عالم اليمن ومؤرخها في القرن السادس . ألف تواليف كثيرة من أجلها شأناً كتاب شمس العلوم . وهو كتاب في اللغة وضعه نشوان ليأمن « كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجعلها مع جنسها وشكلها ويردها الى أصلها » .

جعل فيه « لكل حرف من حروف المعجم باباً ، ثم جعل كل باب من تلك الأبواب شطرين : أسماء وأفعالا ، ثم جعل لكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزناً ومثالا » . قال : « فحروف المعجم تحرس النقط ، وتحفظ الخط ، والأمثلة حارسة للحركات والشكل ، وراادة كل كلمة من بنائها الى الأصل ، فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعاً » .

قال : « .. وأودعت كتابي هذا ما سنح من ذكر ملوك العرب أهل الرئاسة والحسب .... وما عرض ذكره من منافع الأشجار وطبائع الأحجار ... وضمنته شيئاً من علم القرآن والتفسير ... وما وافق من الأخبار والأنساب .. وأصول الأحكام .. وما سنح من أصول عبارة الأحلام .. وما لا بد من تفسيره من علم النجوم ... الخ » .

وعلى الجملة فالكتاب في اللغة ، ولكنه يضم وجوه الثقافة الاسلامية في القرن السادس .

وقد عني بتحقيقه المستشرق السويدي الكبير الأستاذ المرحوم ك . و . سترستين فأظهر في تحقيقه ، من الدقة والضبط ، ما يعجز عنه أبناء العربية أنفسهم ، ودل بضبطه هذا الكتاب على طول باع في معرفة اللغة العربية ولغتها . وإن من المؤسف أن تفقد العربية هذا الشيخ الجليل الذي أحب العربية وخدمها .

وانا لنذكر لهذا الشيخ الجليل خدمته هذه بكثير من الاجلال والشكر .

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب

للقاضي ابن واصل — حققه الدكتور جمال الدين الشيال
٣٤ ص مقدمة ومصادر + ٢٨٦ ص النص + ٦ ص فهرس
مطبوعات ادارة احياء التراث القديم بوزارة المعارف المصرية
القاهرة ١٩٥٣

كان القاضي ابن واصل الحموي (جمال الدين محمد بن سالم) من أعلام القرن السابع الهجري (٦٠٤ — ٦٩٧) وهو قرن من القرون الملأى بالحوادث؛ وقد خلّف لنا كتاباً ذا شأن كبير في تأريخ الأيوبيين اسمه «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب». ولا شك أن هذا الكتاب من أغنى المصادر المتعلقة بذلك القرن، وأكثرها أصالة؛ يزيد في شأنه ان مؤلفه كان من كبار العلماء، وأنه كتب عن علم وسجّل عن مشاهدة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد عُني الدكتور جمال الدين الشيال بتحقيق الجزء الأول من هذا الكتاب وعارضه بمخطوطات كمبردج وباريس واستانبول. فبذل جهداً مشكوراً في اخراجه صحيحاً؛ وإن هذا الجهد ليظهر في كل سطر.

قدّم الدكتور لهذا الجزء بمقدمة ترجم فيها لمؤلف الكتاب ترجمة قصيرة، وقايس بين هذا الكتاب والكتب التي سبقته أو ألفت بعده — عن الأيوبيين — ووصف المخطوطات التي رجع اليها في التحقيق، ثم أبان شأن الكتاب وما فيه من أمور انفرد بها، ووثائق حفظها، ومصطلحات وردت في ثناياه. وحاول أن يحدّد تأريخ تأليف الكتاب، ثم ساق بعض أقوال المعاصرين في مفرّج الكروب.

ويلي المقدّمة النص المحقّق. ويبدأ بذكر نسب بني أيوب، وابتداء أمر نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه، وينتهي بموت نور الدين سنة

٥٦٩ هـ . وهو جزء لا يأتي ابن واصل فيه الا بقليل من الجديد، لأنه لم يعش في تلك الحقبة التي يؤرخها ، ولأنه نقل عمن سبقه . ويجب أن ننتظر الأجزاء المقبلة حتى نصادف الأصالة والجدة ، لأن هذا القسم نجده ، في الروضتين ، وابن الأثير ، وابن شداد ، وابن كثير (وهو مصدر غفل الدكتور الشيال عنه) .

إن فرحنا بظهور هذا الكتاب وإعجابنا بجهود الدكتور الشيال لا يحولان دون ارسالنا بعض الملاحظات المتعلقة بالمقدمة ونهج النشر . فالمقدمة ، مثل الحواشي . لا تناسق ولا اعتدال فيها . فترجمة المؤلف هزيلة جداً ، وابن واصل جدير بترجمة أكثر سعة ، لأن حياته نفسها كانت زاخرة بالحوادث ، وعلمه كان فياضاً . فلا ساق المحقق له ترجمة وافية ، ولا ذكر المصادر التي ترجمت له ليرجع اليها من شاء . وعندما تكلم الدكتور على الذين أرخوا لصدر الدولة الأيوبية ليقايس بين مؤلفاتهم وبين الكتاب عدَّ فيهم القاضي الفاضل في رسائله . وان من العجب أن يوازن بين كتاب مفرج الكروب وبين رسائل القاضي . ولكل منهما منهج وغاية . وان من الصعب أن نقايس أيضاً بين كتاب لا يبحث الا في الأيوبيين مثل مفرج الكروب وبين كتاب يؤرخ لعصور وسلالات مختلفات كابن الأثير ، والأعجب أن يقارن مفرج الكروب وهو تأريخ للحوادث، بشفاء القلوب وهو تأريخ تراجم .

إن المقايسة لا ترد هنا . إذ ينبغي أن تكون بين كتابين في موضوع واحد ، ونهج واحد ، وعصر واحد . تمكن المقايسة مثلاً بين أبي شامة في الروضتين – لا في الذيل عليها – وبين مفرج الكروب . وقد كان يحسن بالمحقق أن يعقد ذيلاً يتضمن كل ما ألف عن بني أيوب مهما كان نوعه ، وأن يقصر المقايسة على ما كان من جنس مفرج الكروب ، وما ألف في عصره .

أما الحواشي ، ففيها اضطراب . بعضها طويل جداً وبعضها قصير . ووضع

الحواشي يتطلب دقة وفناً . فليس مهمة المحقق أن يشرح الكتاب ، بل عليه أن يقدم نصاً صحيحاً . وهو بقدر ما يحاول تصحيح النص يستطيع وضع الحواشي بلا اخلال . واذا وجد ان الايضاح سيطول ، فعليه ذكر المصادر التي يمكن الرجوع اليها . فالكتاب للعلماء والخواص لا للمبتدئين والعوام . فالدكتور الشيال يورد مثلاً في ص ٢٢٩ صفحة كاملة عن حملة توارنشاه على اليمن من الروضتين . وكتاب الروضتين مطبوع ، وهو في خزانة المشتغلين . فلماذا يُثقل النص بهذه الحواشي ؟ ولو أن النص كان عن كتاب مخطوط لأفاد .

على أن ما صادفنا من ملاحظات ، لا يحول دون التنويه بأن الدكتور الشيال قد بذل جهداً كبيراً ، وأن هذا الكتاب من أثمن الكتب القديمة التي صدرت ، ومن أحسنها تحقيقاً وتصحيحاً . فللدكتور الشيال التهنئة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشوارد

أو خطرات عام

كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام

٣٦٥ ص قطع وسط

مطبعة العرب بكراتشي – الباكستان ١٩٥٣

شغلت الدبلوماسية الدكتور عزام عن التأليف ، وباعدت بينه وبين أسفاره ، فرأى أن يعوّض عن ذلك ، وأن يقيّد ما يخطر له من خاطرات ، وما يسنح من سانحات ، وأن يسجل سلائل الفكر والوجدان ، ويجمع حصائد العلم والتجارب ، ليصيد فيها الشوارد ويقيد الأوابد ، واقترح على نفسه أن يقيّد كل يوم فكرة عابرة ، أو خطرة طائرة ، وأن يمضي في هذا حولاً كاملاً [1] .

(١) انظر مقدمة الكتاب .

الحواشي يتطلب دقةً وفناً . فليس مهمة المحقق أن يشرح الكتاب ، بل عليه أن يقدم نصاً صحيحاً . وهو بقدر ما يحاول تصحيح النص يستطيع وضع الحواشي بلا اخلال . واذا وجد ان الايضاح سيطول ، فعليه ذكر المصادر التي يمكن الرجوع اليها . فالكتاب للعلماء والخواص لا للمبتدئين والعوام . فالدكتور الشيال يورد مثلاً في ص ٢٢٩ صفحة كاملة عن حملة توارانشاه على اليمن من الروضتين . وكتاب الروضتين مطبوع ، وهو في خزانة المشتغلين . فلماذا يُثقل النص بهذه الحواشي ؟ ولو أن النص كان عن كتاب مخطوط لأفاد .

على أن ما صادفنا من ملاحظات ، لا يحول دون التنويه بأن الدكتور الشيال قد بذل جهداً كبيراً ، وأن هذا الكتاب من أثمن الكتب القديمة التي صدرت ، ومن أحسنها تحقيقاً وتصحيحاً . فللدكتور الشيال التهنئة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشوارد

أو خطرات عام

كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام

٣٦٥ ص قطع وسط

مطبعة العرب بكراتشي – الباكستان ١٩٥٣

شغلت الدبلوماسية الدكتور عزّام عن التأليف ، وباعدت بينه وبين أسفاره ، فرأى أن يعوّض عن ذلك ، وأن يقيّد ما يخطر له من خاطرات ، وما يسنح من سانحات ، وأن يسجل سلائل الفكر والوجدان ، ويجمع حصائد العلم والتجارب ، ليصيد فيها الشوارد ويقيد الأوابد ، واقترح على نفسه أن يقيّد كل يوم فكرة عابرة ، أو خطرة طائرة ، وأن يمضي في هذا حولاً كاملاً [1] .

(١) انظر مقدمة الكتاب .

وقد شرع في ذلك ، في جدّة من الحجاز ، وأتمّ كتابة شوارده الحولية في كراتشي من الباكستان .

وهذه الشوارد صور جيدة عن الدكتور عزام نفسه ؛ وستكون يوماً مصدراً لدراسته ؛ ففيها من كل شيء .

والى ذلك فان فيها نظرات صادقات جديرة بالتأمل ؛ وإن بعضها لينتج أفاقاً واسعة أمام القارئ ؛ وهو إذ يصف في شوارده الواقع ، يبرع في الوصف لأنه صادر عن قلبه ، أما ما يلقاه القارئ من طرائف الأدبين : العربي والفارسي في الكتاب ، فيدل على سعة اطلاع الدكتور عزام بهذين الأدبين .

وفي قراءة الشوارد متعة كبيرة وفائدة . فللكاتب الشكر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات

لعلي بن أبي بكر الهروي — عنيت بنشره وتحقيقه جانين سورديل — طومين

١٠٠ ص النص + ٤٠ ص فهارس + ٣٠ ص مقدمة بالفرنسية

مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق ، ١٩٥٣

الهروي سائح مشهور عاش في النصف الثاني من القرن السادس وأدرك العشر الأول من السابع (مات ٦١٠) أصله من هراة ، وولد في الموصل ، ونزل بحلب فسكن بها ، وله بها مدرسة . وطوّف في الآفاق «حتى لم يترك – كما يقول ابن خلكان – براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها الا رآها» . وألف كتابه الاشارات الى معرفة الزيارات – وفي ابن خلكان : الاشارات في الزيارات – ذكر فيه مازاره من

وقد شرع في ذلك ، في جدّة من الحجاز ، وأتمّ كتابة شوارده الحولية في كراتشي من الباكستان .

وهذه الشوارد صور جيدة عن الدكتور عزام نفسه ؛ وستكون يوماً مصدراً لدراسته ؛ ففيها من كل شيء .

والى ذلك فان فيها نظرات صادقات جديرة بالتأمل ؛ وإن بعضها ليفتح أفاقاً واسعة أمام القارئ ؛ وهو إذ يصف في شوارده الواقع ، يبرع في الوصف لأنه صادر عن قلبه ، أما ما يلقاه القارئ من طرائف الأدبين : العربي والفارسي في الكتاب ، فيدل على سعة اطلاع الدكتور عزام بهذين الأدبين .

وفي قراءة الشوارد متعة كبيرة وفائدة . فللكاتب الشكر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات

لعلي بن أبي بكر الهروي — عنيت بنشره وتحقيقه جانين سورديل — طومين

١٠٠ ص النص + ٤٠ ص فهارس + ٣٠ ص مقدمة بالفرنسية

مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق ، ١٩٥٣

الهروي سائح مشهور عاش في النصف الثاني من القرن السادس وأدرك العشر الأول من السابع (مات ٦١٠) أصله من هراة ، وولد في الموصل ، ونزل بحلب فسكن بها ، وله بها مدرسة . وطوّف في الآفاق «حتى لم يترك - كما يقول ابن خلكان - براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها الا رآها» . وألف كتابه الاشارات الى معرفة الزيارات - وفي ابن خلكان : الاشارات في الزيارات - ذكر فيه مازاره من

الزيارات وما شهده من العجائب والأبنية والعمارات ، وما رآه من الأصنام والآثار والطلسمات في الربع المسكون ، والقطر المعمور .

وقد اتبع في ذكر الزيارات طريق السماع : « ذكرتُ ما شاع خبره وذاع ذكره بطريق الاستفاضة ، والله أعلم بصحته » ، فهو يذكر ما شاع في عصره . غير أنه لا يعمل النقد الا قليلاً . فالكتاب يؤرخ ظاهرةً خاصةً في القرن الذي عاش فيه الهروي تبين عقيدة الناس في الزيارات .

ولا نعتقد أن نص الكتاب نفسه ذو شأن علمي ؛ فشأنه تاريخي ؛ لأنه من أقدم ما كتب عن الزيارات والأماكن المباركة . غير أن السيدة جانين سورديل — طومين عنيت بنشره . ولا يستطيع الباحث الا أن يقدر الجهد الكبير الذي بذلته في اخراج النص اخراجاً علمياً صحيحاً . ان هذا الكتاب ، من حيث طريقة نشره ، هو أحسن ما أصدره المعهد الفرنسي من نصوص عربية ، فقد اتبعت السيدة سورديل أصول النشر العلمي على طريقة الفرنسيين وطبقتها أحسن تطبيق ، ولا غرو في ذلك فهي تلميذة المستشرق المفقود السيد سوفاجه ، الذي افتقده العلم وهو في نضجه ، وقد كان أشار عليها بنشر الكتاب .

ان هذا الكتاب باكورة جيدة تقدمها السيدة سورديل . ولا يعيبه ما فيه من أخطاء قليلة في ضبط الأماكن . فلقد جعلت السيدة سورديل بأصولها العلمية من هذا الكتاب مرجعاً يمكن الانتفاع به والاستفادة منه . فلها التهنئة .

الدكتور صلاح الدين المنجد

آراء وأنباء

المستشرق الأستاذ ك . و . ستر ستين

(١٨٦٦ – ١٩٥٣)

مات عضو مشهور من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق لليلة خلت من شهر حزيران سنة (١٩٥٣) . وهو المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . ستر ستين .

حياته :

ولد المترجم في سنة (١٨٦٦) . ولا نعدو الصواب اذا ادعينا أنه نشأ على حب تعلم اللغات الشرقية منذ كان شاباً . وذلك أننا نراه يضيف إذ كان بالمدرسة العالية لفنين إلى الفنون المفروضة على التلامذة ، وهما : العبرانية والعربية . أما الأولى فقد تلقاها على بعض المدرسين حتى برع فيها وفاق ، وأما الثانية فلم يجد من يعلمه مبادئها فتعلمها ولا معلم له . وفي ذلك عجب ، فإن من المعلوم أن العربية هي لغة عظيمة لا يبدأ فيها الأجنبي إلا بصعوبة .

وبعد انتهاء الدروس المدرسية رحل سنة (١٨٨٤) الى جامعة أبسالة طمعاً في العلم ، خصوصاً في الفنون اللغوية الشرقية المختلفة . وما زال مجداً في ذلك حتى أحرز إجازة الدكتوراه في الآداب سنة (١٨٩٥) . غير أنه لم يقنع بالتلقي على أساتذة بلده والاستفادة مما عندهم . بل ارتحل هذه السنة الى ألمانية ليتمّ بعض ما فاته من العلوم . وقد اشتغل هناك بلغات مختلفة مثل العربية والفارسية والتركية على المشارقة الذين كانوا إذ ذاك يدرّسون بالمدرسة الشرقية

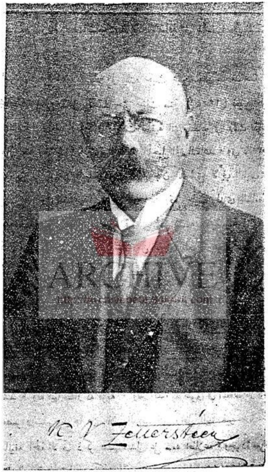

المستشرق الأستاذ ك . و . ستر ستين

ببرلين ، وطالع العربية — والشامية القديمة بالاضافة الى ذلك — على المستشرق المشهور الأستاذ أدوارد سخو .

في أواخر سنة (١٨٩٥) عاد إلى بلده حيث عيّن مدرّساً مساعداً للغات الشرقية بجامعة لندن ، وظلّ كذلك حتى كانت سنة (١٩٠٤) فعيّن أستاذاً في اللغات الشرقية بجامعة أبسالة ، وكانت الحقبة التي قضاها في ذلك طويلة ، قد امتدت الى سنة (١٩٣١) حين ترك منصبه وأحيل الى التقاعد ، وفي عام ١٩٣٦ رحل الى دمشق وناب عن المستشرقين في المهرجان الدمشقي لأبي الطيب المتنبي فألقى بالعربية كلمةً عن الشاعر الكبير كان لها وقع طيب لدى السامعين ، ولم يزل مواظباً على أشغاله العلمية المثمرة حتى أدركته المنية سنة (١٩٥٣) وهو مع كبره هامٌ بنشر كتاب ذي شأن من التراث العربي وهو « شمس العلوم » لنشوان الحميري الآتي ذكره .

كان الأستاذ سترستين ذا فطنة جيدة وذكاء مفرط ، مشهوراً باجتهاد لا نهاية له : قد كان يقضي أكثر ساعات النهار وشطراً طويلاً من الليل في خدمة العلم الأدبي بحثاً أو تدريساً أو تصنيفاً ، وكان يشتمل بحثه وتدريسه على فنون المشرقيات كلّها ، غير أنه قد كان يغلب عليه العربية التي كان ميله اليها أشدّ ، وله فيها مشاركة قوية ، وله أيضاً يد طولى في اللغات الدارجة ، في تونس ومصر والشام وغيرها من بلاد العرب التي رحل اليها غير مرة .

وأما تصانيفه الجمة الآتي ذكر بعضها فتدل على سعة اطلاعه ، وجودة معرفته ، بكثرة ألفاظ العربية وأدبها ، وكان المترجَم حسن المحاضرة ، محبًّا لأصدقائه وتلامذته ، لا يتخلّف عن معاونتهم ، ويسهل لهم المدخل الى العلوم الأدبية : قد علم ذلك من خالطه وعاشره ، وبالجملة فكان من أجلاء مستشرقي عصرنا وأكابرهم ، المشار اليهم بأخلاق كريمة ، وشمائل حسنة .

آثاره وتصانيفه :

وتصانيفه عديدة جداً ، تشتمل على كل فنون المشرقيات المتنوعة . ومن أهمها ما قام بنشره وتحقيقه من التراث العربي . فمن ذلك : « الدرة الألفية » لابن معط الزواوي (١٩٠٠) . والجزءان الخامس والسادس من « الطبقات الكبيرة » لابن سعد كاتب الواقدي (١٩٠٥ – ١٩١٩) . وبالاضافة الى ذلك رسالة مفيدة يقابل فيها متن الجزء الخامس من « الطبقات » بنسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة شهيد علي باشا باستانبول (١٩٣٣) . و « تاريخ لسلاطين مصر والشام » اسم مصنفه مجهول (١٩١٩) . و « تهذيب اللغة » لأبي منصور الأزهري (في مجلة Le monde oriental, 1920) . و « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » للملك الأشرف ابن رسول الغساني (من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٤٩) . و « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » لنشوان بن سعيد الحميري (١٩٥٠) وكان كما ذكرت مشتغلاً بنشر هذا القاموس الكبير لما أدركته المنية ، وقد نشر منه الجزئين الأول والثاني من القسم الأول ، وقد كلفني أن أقوم باتمام هذا الكتاب وسأفعل إن شاء الله . وله الجزء الثالث من « Glossaire Datinois » (١٩٤٢) ، الذي صنف المستشرق المشهور الكنت لندبرج الجزئين الأولين منه . وله : « اللغات الشرقية » (١٩١٤ ، في السويدية) . وترجم « القرآن الكريم » الى السويدية سنة (١٩١٧) . وكذلك ترجم بعض كتب المتصوفة سنة (١٩٠٨) عن العربية الى السويدية .

الأستاذ الدكتور س . ديدرينغ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتخاب أعضاء جدد

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في يوم الاثنين ١٩٥٣/١٢/٧ برئاسة الأستاذ خليل مردم بك ثلاثة أعضاء عاملين جدد للمقاعد الشاغرة فيه وهم السادة :

١ — الدكتور سامي الدهان بدلاً من المرحوم الأستاذ معروف الأرناؤط .

٢ — الدكتور صلاح الكواكبي بدلاً من المرحوم الدكتور جميل الخاني .

٣ — الدكتور حكمة هاشم بدلاً من المرحوم السيد محسن الأمين العاملي .

وقد صدرت عن مقام رئاسة الجمهورية المراسيم ذوات الأرقام : ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، بتاريخ ١٩٥٣/١٢/٢٣ تقرّ هذا الانتخاب .

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

مخطوطات بدار الكتب

أهدت مديرية الشرطة والأمن العام في ١٩٥٣/١١/٢٢ دار الكتب الظاهرية ثلاثة كتب مخطوطة وهي :

١ — المنح المكية في شرح الهمزية لابن حجر الهيثمي .

٢ — الجزء الأول من الكشاف للزمخشري .

٣ — التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للزركشي .

فلها الشكر .

أجزاء جديدة من تاريخ مدينة دمشق

للحافظ ابن عساكر

كنا وصفنا في مقدمة المجلدة الأولى من تاريخ مدينة دمشق مخطوطات هذا التاريخ المعروفة في مكتبات العالم [١] .

ثم علمنا ، أثناء مقامنا بباريز ، أن في المكتبة السعيدية بحيدر آباد الدكن ، بالهند ، — وهي مكتبة جليلة فيها مخطوطات قيمة — مجلدين من هذا التاريخ . أخبرنا بذلك الأستاذ الدكتور محمد حميد الله ، وتكرّم فكتب الى الدكتور يوسف الدين الأستاذ بالجامعة العثمانية بحيدر آباد فوصفها لنا . وها نحن أولاء ننشر موجزاً عنها ، شاكرين للأستاذين صنعهما .

المجلد الأول : رقمه ١٣ تاريخ .

كتب سنة ٥٦٠ هجرية — أي في حياة المؤلف ابن عساكر .

عدد صفحاته : ٣٦٦ بقياس (٢٥ × ١٦ عُشيراً) .

يبدأ بالجزء الثاني والأربعين بعد المائة وينتهي بالجزء الخمسين بعد المائة من الأصل .

في أوله ما يلي :

الجزء الثاني والأربعون بعد المائة

من تاريخ مدينة دمشق حماها الله

وضعه (صنفه ؟) الحافظ ابوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي رحمه الله

سماع ولده القاسم بن علي بن الحسن

اجازة له من بعض الشيوخ رحمهم الله

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ، المقدمة ص ٤٤ - ٤٦ .

ويشتمل هذا المجلد على ترجمات الأشخاص الآتية اسماؤهم :

حميد بن مالك

من اسمه حنظلة

سماعات

ذكر من اسمه حيان

ذكر من اسمه خارجة

ذكر من اسمه خالد

سماعات

تتمة الخالدين

خالد بن الوليد .

المجلد الثاني : أما المجلد الثاني فهو حديث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رقمه ١٩ تاريخ

كتب سنة ١٣٠٥ .

فيه ذكر من اسمه عباد الى ذكر من اسمه عمر .

في آخره ما يلي :

آخر الجزء العاشر بعد الثلاثمائة ، وهو آخر المجلد الحادي والثلاثين من الأصل المنقول منه ، بخط القاسم تجزئة ثمان مائة جزء من الف وثمان مائة كراسة من النسخة الثانية ، وجميعها تشتمل على ثمانين مجلدة . فرحم الله مصنفها و كاتبها وأبقى بيتهم الطاهر متمسكين بالعلم والرواية سلفاً عن خلف وجزاهم خيراً .

صورة ما في الأصل المنقول عنه :

تجزت هذه المجلدة يوم الخميس سلخ ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستمائة بدار السنة بدمشق ، حرسها الله . والحمد لله والصلاة على نبيه محمد وآله .

راجياً موافاة أهل العلم بالكشف عن وجه الحق فيما أكتبه على صفحات هذه المجلة ، وشكري لهم مقدم وجزيل .

قال ابن العماد في « شذرات الذهب » في وفيات سنة ٧٤٩ (١٥٨/٦) :
« وفيها مات علاء الدين أحمد بن عبد المؤمن الشافعي ، قال ابن قاضي شهبة : الشيخ الامام السبكي ثم النووي ، نسبة الى نوى من أعمال القليوبية ، وكان خطيباً بها ، تفقه على الشيخ عز الدين النسائي وغيره ، وكتب شرحاً على التنبيه في أربع مجلدات ، وصنف كتاباً آخر فيه ترجيحات مخالفة لما رجحه الرافعي والنووي ، قال الزين العراقي : كان رجلاً صالحاً ، صاحب أحوال ومكاشفات ، شاهدت ذلك منه غير مرة ، وكان سليم الصدر ، ناصحاً للخلق ، قانعاً باليسير ، باذلاً للفضل ، بل لقوت يومه مع حاجته اليه » اهـ .

وغالب الظن أن هذا النووي هو الذي أجاز ابن رجب ، ذلك لأن ابن رجب رافق الزين العراقي في السماع كثيراً ، كما ذكره الناشران في ترجمته ، والنووي هذا شيخ للزين العراقي كما ذكر هنا ، فيكون شيخاً لمرافقه في السماع والارتحال الشيخ ابن رجب ، فيكون للعلماء نوويان أحدهما دمشقي ، وثانيهما مصري .
وقد مرت أثناء المطالعة في « الشذرات » بنووي ثالث ، أذكره هنا إتماماً للفائدة . قال ابن العماد في « الشذرات » في الجزء (٦١٨) في وفيات سنة ٩٠١ :
« وفيها مات علاء الدين علي بن يوسف بن خليل النووي ثم الدمشقي الشافعي ، الإمام العلامة ، ولد في حادي عشر شوال سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمانمائة ، واشتغل في العلم فبرع ودرّس وأفتى ، وكان يكتسب بالشهادة في مركز باب الشامية البرانية خارج دمشق ، وتوفي ليلة الخميس عاشر صفر ، ودفن بمقبرة النخلة غربي سوق صاروجا » اهـ .

أما ابن النقيب ، فقد كنت ذكرت أنه « شهاب الدين أبو العباس أحمد بن لؤلؤ المعروف بابن النقيب ، المولود سنة ٧٠٢ ، المتوفى سنة ٧٧٦ » . ومن

المحتمل أن يكون هو : «شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن محمد بن حمدان بن النقيب الدمشقي الشافعي ، المولود سنة ٦٢٣ ، المتوفى سنة ٧٤٥» ؛ وترجمته في «الشذرات» لابن العماد (١٤٤/٦) إذ كلٌّ من هذين العالمين يعرف بابن النقيب ، وكل منهما ممكن أن يكون شيخاً لابن رجب ، ولم أر فيما قرأت في ترجمتها ذكر أخذ ابن رجب عن أحدهما .

ولكن يغلب على الظن أن الأول هو شيخ ابن رجب ، لأن الأول من طبقة شيوخ الحافظ الزين العراقي - إن لم يكن منهم - كما يقوله العلامة الطهطاوي في «التنبيه والإيقاظ» بـ (ص ١٠٢) ، وقد كان الحافظ ابن رجب مرافقاً للزين العراقي في الرحلة والسماع والتلقي من الشيوخ كما تقدم ذكره ، فيكون - في غالب الظن - شيخُ زميله العراقي شيخاً له والله أعلم .

ولعلنا لا نعدم من الفضلاء الذين رزقهم الله العلم وكتبه والفراغ له من يكشف وجه الحق ، ويزيل الشك والارتياب في هذا الصدد فيكون له من الشاكرين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقي بعد هذا كلمة حول مؤلفات ابن رجب ، فقد عدَّ الناشران من مؤلفاته ثلاثةً وثلاثين مولفاً ، وأغفلا ذكر «ذيل طبقات الحنابلة» وهو الكتاب الذي عُنيا بنشره ، ولم أدر سرّ اغفالها هذا المؤلَّف في تعداد مؤلفات ابن رجب ، وكان الواجب ذكره فيها ، فتكون (٣٤) مؤلفاً . على أنه قد فاتهما ما يأتي :

١ - شرح كتاب العلل للترمذي ، ذكره شيخ شيوخنا الكتاني رحمه الله تعالى في «الرسالة المستطرفة» بـ (ص ١١١) ، وتوجد نسخة منه مخطوطة في دار الكتب المصرية ، وقد صوّرتها الادارة الثقافية لأمانة الجامعة العربية .

٢ - شرح حديث : «بعثت بالسيف بين يدي الساعة» وطبع بمصر بمطبعة المنار سنة ١٩٣٩ بعنوان «الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي بعثت بالسيف بين يدي الساعة» ، وأظن هذا الاسم من صنيع ناشره حامد الفقي .

٣ — تفسير سورة : « اذا جاء نصر الله والفتح » طبع بالهند سنة ١٣٣٩ مع كتاب « تحفة الورود بأحكام المولود » لابن القيم .

٤ — غاية النفع في شرح تمثيل المؤمن بخامة الزرع ، طبع بمصر بمطبعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٥٨ ، ضمن مجموعة رسائل حديثية ، أولها : « إنعام المنعم الباري بشرح ثلاثيات البخاري » للشيخ عبد الصبور بن عبد التواب الهندي ، وقد شرح الحافظ ابن رجب في هذه الرسالة حديث البخاري ومسلم : « مثل المؤمن كمثل خامة الزرع » الحديث . فتكون مؤلفات ابن رجب التي وقفنا عليها (٣٨) مؤلفاً .

هذا ، ولما ذكر الناشران في مؤلفات ابن رجب « شرح البخاري » لم يذكرا أنه تام أو ناقص ، وصنيعهما يفيد أنه تام ، وقال شيخ شيوخنا الكتاني رحمه الله تعالى في « الرسالة المستطرفة » : و « شرح قطعة من صحيح البخاري » اه . وكذلك قال ابن حجر في « الدرر الكامنة » .

وقال الناشران في « شرح حديث ما ذئبان جائعان » : طبع في لاهور سنة ١٣٢٠ . قلت : وطبع بمصر سنة ١٣٤٦ ضمن الجزء الثالث من مجموعة « الرسائل المنيرية » .

وذكر الناشران أيضاً في الرقم (١٧) من مؤلفات ابن رجب : « شرح حديث من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً » وسكتا عن طبعه ، فأفاد سكوتها أنه لا يزال مخطوطاً ، وقد طبع بمكة سنة ١٣٤٧ بالمطبعة السلفية قبل تحولها الى مصر ، بعنوان : « شرح حديث أبي الدرداء فيمن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً » ، وهو في (٦٠) صفحة من القطع الصغير .

(حلب) عبد الفتاح أبو غدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أغلاط مطبعية

جاء في آخر نشرة لي من «آراء وتعليقات» ج ٤ مج ٢٨ ص ٦٥٦ : «نهاية المبارك لابن الأثير»، وص ٦٥٧ «الأباده»، و ص ٦٦٣ «ثلاث وثلاثين»، و ص ٦٦٤ «ويوفق أهل التحقيق الى الزيادة»، والأصل : «نهاية المبارك ابن الأثير»، و «الأدباء»، و «ثلاثاً وثلاثين»، و «يوفق أهل التحقيق للزيادة».

الدكتور مصطفى جواد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وردت في الصفحة ١٢٨ في السطر الثامن من هذا الجزء : «حوذة» بالذال وصوابها «حوزة» بالزاي.

حول (تصحيح سبعة أسطر)

جاءنا من الأستاذ محقق تاريخ داريا - رداً على ما نشر في العدد الثاني من المجلد الثامن والعشرين (ص ٣٣٣) بعنوان تصحيح سبعة أسطر من تاريخ داريا - بيان نقتطف منه ما يلي بعد تغيير وحذف يسيرين.

١ - بدأ المعترض الكلام بقوله : «حينما طالعت تاريخ داريا لابن المهنا ... وبخاصة ص ١٢٦ ... الخ».

وابن المهنا وتاريخه لا علاقة لها بهذه الصفحة، إذ ينتهي تاريخ ابن المهنا في

ص ١٢٣ نصاً وصراحة وبعد هذا الإشعار الصارخ من حمد الله والصلاة على نبيه على عادة المؤلفين جميعاً . وتبدأ صفحة (١٢٤) بعنوان طبع بحرف كبير جداً : (الزيادة ... الخ) وهي زيادات لمتأخر نقلها الناسخ .

٢ — ثم يقول المعترض : « فظهر لي أن الترجمة المذكورة بسبعة أسطر في الصفحة المذكورة ليست لشخص واحد وهو « خلف بن محمد » وإنما هي ثلاث تراجم ... مزج الأستاذ ... بعضها ببعض وجعلها ترجمة واحدة لشخص واحد » اه .

فلا الذي ذكره من الثلاثية صحيح ، ولا ما عزاه للناشر من المزج صدق . فأما الأول فليس في النص مما زعمه ترجمة ثانية غير (أبيه) ويحتاج المرء الى خيال جريء حتى يجعل من هذه الكلمة نواة ترجمة . وأما الثاني فلم يمزج الناشر ولم يغير ، وإنما نشر زيادة الناسخ كما هي ، وهي في الأصل جملة واحدة ليس لها غير عنوان واحد (خلف بن محمد) ، وليرجع اليها من شاء في النسخة المصورة بخزانة المجمع العلمي العربي .

وقد كنت لاحظت في هذه الترجمة خللاً حين اختلفت سنة الوفاة لصاحب الترجمة عن السنة المذكورة في آخرها فأشرت الى ذلك في التعليق ، وسقوط كلام قبل كلمة (أبيه) فوضعت بعدها كلمة (كذا ؟) مشفوعة بإشارة استفهام ، ولا تسمح الأمانة بأكثر من ذلك فإن زاد شيئاً صار اختلاقاً . والمؤسف أن هذا التعليق المفيد للقارئ المتأني أضرّ بالمعترض وجعله يزعم أن هناك ثلاث تراجم وجعله يدعي ويطالب أن يزاد على النص أن أحمد بن عمرو العنسي روى عن أبيه وروى عنه ابنه ، ومن عرف أن العلم عند المحدثين أمانة يدرك لماذا يسقطون الراوي لاختلاق أقل من هذا بكثير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما تعليقي فيجمل كون الترجمة ترجمتين (لا ثلاثاً) أحد الأمور المحتملة، ولم أحتم ذلك تحتيماً خشية أن يكون هناك كلام سقط (لا ندري ما هو) يربط آخر النص بأوله. والصفحة كما أسلفت ليست من كتاب ابن المهنا وإنما هي زيادة قارئ متأخر، ومن طالت ممارسته تراثنا المخطوط تأنى وتحفظ واحتاط.

وليستقيم للمعترض ادعاء ترجمات ثلاث قام بما يأتي:

٣ — أولاً: ادعى وجود بياض في المطبوعة في السطر الثاني من ترجمة خلف (ص ١٢٦)، وذكر في تصويبه ما يدل على أن الكلمة الساقطة هي (العنسي)

وأقول: ليس في المطبوعة بياض بل (العنسي) في مكانها والنسخ بأيدي القراء.

ثانياً — في تصويبه ما يوهم حذف الناشر لعنوانين من الثلاثة. وذلك تزوير على الأصل، فليس فيه الا عنوان واحد هو الذي طبعناه بأمانة دون اختلاق.

ثالثاً — في تصويبه الذي نشره ما يقطع بأن (عبد الله بن أحمد) ذكر مرتين، ليستطيع زعم أن الأولى تتبع الترجمة الثانية التي زعمها، والثانية عنوان ترجمة جديدة. وهذا زعم ثان إذ ليس في الأصل (عبد الله بن احمد) إلا مرة واحدة[1].

---

(١) وورد على المجمع سؤال من السيد محمد طاهر النعمي عن وفاة قيس بن عباية المذكورة في ص ٣٥ من تاريخ داريا، ويسأل عن كلمة (بن الأوس) هل هي في المخطوط (بن) أو (من).

والجواب أن الرقم المدرج تحت الاسم (– ١١٠ – ١٢٠) سهو محض لأنه يتعلق برجل آخر اسمه قيس بن عباية أيضاً.

وأما (بن) فهي في المخطوط (من).

وبهذه المناسبة نرجو من عنده نسخة من تاريخ داريا أن يضيف الى تصويباتها ما يأتي:

ص ٣٣ رحبي من ولد رحب بن حلوان.

مغوية

ص ٤٩ حلبس

صواب عبد العزيز بن احمد الكناني : عبد العزيز بن أحمد الكتاني.